أخلاقيات مهنة العلم والعلماء

بين النظرية والتطبيق

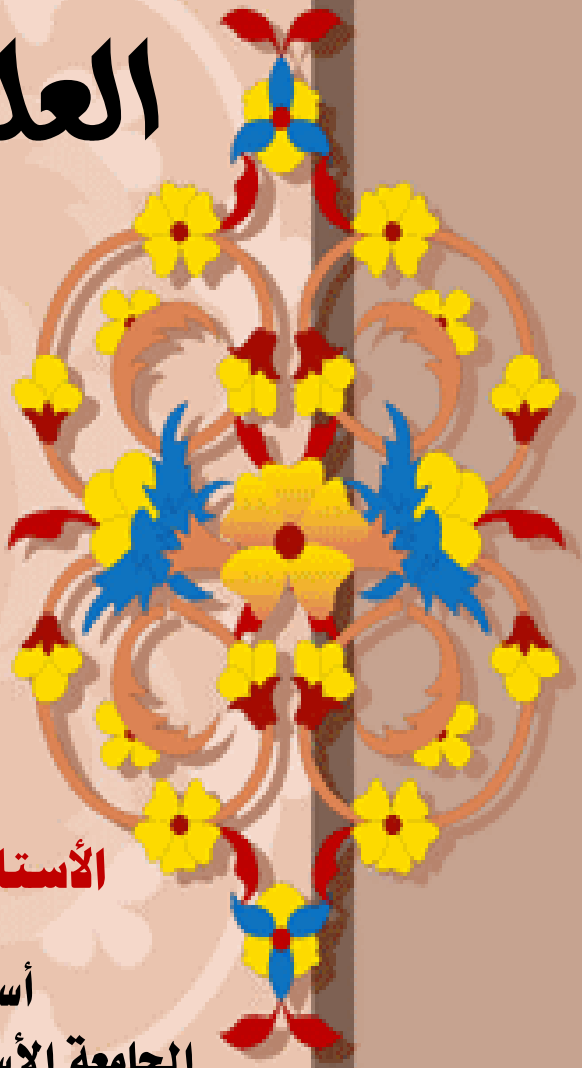

تأليف

الأستاذ الدكتور/فيصل صلاح الرشيدي

أستاذ الدراسات العليا المساعد

الجامعة الأسمرية الإسلامية بليبيا وجامعة العريش

٢٠٢١ م

الفصل الأول

تمهيد

وأول ما يمكن التحدث عنه هو « مكانة العلم والعلماء» لأن القدر الأساسي من المعارف والمهارات والاتجاهات وطرق التفكير والعادات،والقيم العلمية الخلقية،التي بدونها يصير المرء متخلفاً في مجتمعة، محروما من الوسائل التي تمكنه من تحقيق أماله في الحياة، ومكانة العلم والعلماء لها دور عظيم في فهم ومدخل إلي النسق التربوي.

ومن أهم أهداف العلم والعلماء، هو الاهتمام بالمنهج العلمي الصحيح،والطرق التربوية الصحيحة،والبعد عن الخرافات والخزعبلات والتنجيم،لذلك وجب تبليغ العلم ونشره مطلوب من العالم(عدم كتما العلم)،ولا يمكن تحقيق النسق التربوي وشرح المفاهيم والمصطلحات العلمية الا عن طريق العلماء،والإخلاص في طلب،والقرآن الكريم يطابق العلم،والآراء التربوية التي تستقيم به العقيدة،وفضيلة الإسلام الكبرى أنة يفتح للمسلمين أبواب المعرفة،وقبول كل مستحدث من العلوم علي تقدم الزمن،ونجد أدوات الكشف ووسائل التعليم.

لذلك يقول محمد بن محمد عبد الله بن زنجي البغدادي : (الطويل)

وفي العلم والإسلام للمرء وازع **** وفي ترك طاعات الفؤاد المقيم

بصـــائر رشد للفتي متبينة **** وأخـــلاق صـــدق علمـــها بالتعلَّـــم

وكفي بالعلم شرفاً أن الله تعالي وصف به نفسه.ومنحة أنبياءه. وخص بـــه أوليـــاه، وجعله وسيلة إلي معرفته،وسبباً إلي الحياة الأبدية.والنجاة من الشقاوة السرمدية. والفـــوز بالسعادة الأخروية،وجعل العلماء تلو ملائكته في الإقرار بربوبيته،والاختصاص بمعرفتـــه وورثه الأنبياء.

والعلم فضيلة النفس الناطقة،ولا تتم إلا بالعلم،والعلوم مع اشتراكها في الشرف تتفاوت فيه.فمنها ما هو بحسب الغاية كعلم الأخلاق، ومنها ما هو بحسب الحاجة إلية كالفقه فإن الحاجة إلية ماسة، ومضمون كل ذلك يفيد موضوعنا وهو النسق التربوي عند ابن سحنون والقابسي بين الأصالة والمعاصرة، ومن شروط التعليم والتعلَّم، أن يقصد العلم الذي تقبله نفسه،وتميل إليه طباعه، وأن يقصد فيه الكتب الجيدة، والكتب المصنفة علي قسمين علوم.وغير علوم. وسوف نبين في هذا الفصل شروط العلم وكيفية الحصول عليه، لذلك بقول بعض الحكماء (وعلم بلا روع كأرض بلا نبات) وقال رسول الله صل الله علية وسلم: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، وقلب لا يخشع، وعين لا تدمع»(*)

ومن الجدير بالإشارة هنا أن رسالة ابن سحنون تهتم بمكانة العلم والعلماء وهي آداب المعلمين وكذلك رسالة القابسي (أحوال المتعلمين والمعلمين) ورسالة ابن سحنون والقابسي تحتويان علي ما يلي:

- النظريات الخاصة بالتعلم ووصف طالب العلم من حيث تصرفه ومقدار حفظة وسلوكه وأخلاقه وجودة كتابته وسرعة بديهته.
- الأهداف التربوية والعلمية والهدي الإسلامي والسلوك الإنساني.
- الإشارة إلي ثواب العلم وفضله.
- تناول الرسالتين تفهم الدين والتفقه في علومه ، والالتزام بالفرائض والشعائر، واجتناب النواهي والاستمساك بالقيم الخلقية والقواعد السلوكية في التعامل مع الآخرين.
- تناول الرسالتين لابن سحنون والقابسي العديد من جوانب التعلم الذي أشار إليهم ويشمل الجوانب المعرفية والدينية والنظرية والتعلم انفعالياً، وأخلاقياً، وتطبيقياً.

(*)رواة الترمذي في كتاب الدعوات رقم(٣٤٨٢) عن عبد الله بن عمرو وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

- تهتم رسالتي بمكانة العلم والعلماء عن طريق ترسيخ العقيدة، وتصحيح الفكر، وتزكية النفس، وترقية السلوك، وتحقيق إنسانية الإنسان.
- يقول ابن سحنون في آداب المعلمين قال رسول الله(ﷺ) : "خيركم من تعلم القرآن وعلمه".
- ويقول القابسي في أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين: (عن أبي موسي عن النبي (ﷺ) قال: " المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالاترجه طعمها وريحها طيب...".

بسم الله الرحمن الرحيم

« هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ »

سورة الزمر الآية ٩

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلي الله علي سيدنا النبي الأمي، وآله وسلم،وبالله أستعين،وحسبي الله ونعم الوكيل.

أما بعد.....

فإن الله-عز وجل-وتقدست أسماؤه- اختص من خلقة من أحب،فهداهم للإيمان ثم اختص من سائر المؤمنين من أحب، فتفضَّل عليهم، فعلمهم الكتاب والحكمة،وفقههم في الدين، وعلمهم التأويل وفضلهم علي سائر المؤمنين وذلك في كل زمان ومكان.

رفعهم بالعلم، وزينهم بالحلم، بهم يعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل،والضار من النافع، والحسن من القبيح فضلهم عظيم، وخطرهم جزيل، وورثه الأنبياء، وقرة عين الأولياء، الحيتان في البحار لهم تستغفر، والملائكة بأجنحتها لهم تخضع،والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع، مجالسهم تفيد الحكمة، وبأعمالهم يزجر أهل الغفلة، هم أفضل من العباد،وأعلي درجة من الزهاد.

حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة، يذكرون الغافل،ويعلمون الجاهل، لا يتوقع لهم بائقة، ولا يخاف منهم نمائلة، بحسب تأديبهم يتنازع المطيعون، وبجميل موعظتهم يرجع المقصرون، جميع الخلق إلي عملهم محتاج.

والطاعة لهم من جميع الخلق واجبة، والمعصية لهم حرمة، من أطاعهم رشد، ومن عصاهم عند، فهم سراج العباد ومنار البلاد وقوام الأمة وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ.

مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدي بها في ظلمات البر والبحر إذا انطمست النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا.

أولاً: مفهوم العقل عند العلماء:

«قال سحبان وائل: العقل بالتجّارب، لأن عقل الغريزة مسلمٌ إلي عقل التجربة. وقال علي رضي الله عنه: العقل في الدماغ، والضحك في الكبد، والرأفة في الطحال والصوت في الرئة. وقيل لعمرو بن العاص: ما العقل؟فقال: الإصابة بالظَّن،ومعرفة ما يكون بما قد كان صـ٢٤١.وبالعقل أردك الناس معرفة الله عز وجل، ولا يشُك فيه أحد في أهل العقول، يقول الله عز وجل في جميع الأمم: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللّهُ﴾. وقال أهل التفسير في قول الله ﴿ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ قالوا:لذي عقل وقالوا: ظن العاقل مهانة»[1]

« وقال الحسن البصري:لو كان للناس كلهم عقول خربت الدنيا

وقال صلي الله علية وسلم:لا تقتدوا بمن ليست له عقده

قال:وما خلق الله خلقاً أحبَّ إلية من العقل

وكان يقال: العقل ضربان: عقل الطبيعة وعقل التجربة، وكلاهما يحتاج إلية ويؤدي إلي المنفعة.

وكان يقال:غريزة عقل لا يضيع معها عمل»

ويقال: ما شئ بأحسن من عقل زانة حلم، وحلم زانة علم، وعلم زانة صدق، وصدق زانة عمل، وعمل زانة رفق وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ليس العاقل من عرف الخير من الشر،بل العاقل من عرف [خير] الشَّرين، ومن أهم الأقوال المأثورة: أربعة تؤدي إلي أربعة، العقل إلي الرياسة، والرأي إلي السياسة، والعلم إلي التصدير والحلم إلي التوقير؟

* أفضل العقل معرفة العاقل بنفسه.

---

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه- صـ٢ صـ٢٤٠:٢٤١

(٢) المصدر السابق- صـ٢٤٤،٢٤٥

* العاقل المحروم خير من الجاهل المرزوق.

- العلم

فضيلة العلم في القرآن الكريم: يؤكد القرآن الكريم علي فضيلة العلم، من خلال الآيات الكثيرة ذكرها الله في كتابة العزيز وهي ما يلي:

« ولما كان الجهل هو آفة الآفات، لم يغفل القرآن ولا من نزل علية من القرآن علية أفضل صلاة وأتم السلام- أمر بالعلم، فرفع من شأنه وأعلي قدره، وامتهن الجهل، وازدري من رضي به، وارتضي في أحضانه فيقول عز وجل:﴿ يَرْفَعِ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [1]وقال الله تعالي :﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنّهُ لَا إِلَهَ إِلّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[2] بدأ في الشهادة بنفسه وثني بالملائكة وثلّث بأولي العلم.وقال الله تعالي﴿هَلْ يَسْتَوِي الّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[3] وقال تعالي ﴿ إِنّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[4] وقال تعالي ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[5] إلي غير ذلك من الآيات»[6].

ويقول الله تعالي ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

والذكر هو العلم ويروي عن رسول الله صل الله علية وسلم أنه قال (لموت قبيلة أيسر عند الله من موت عالم)

فضيلة العلم في الكتاب والسنة:

ويستخدم الأمام أحمد بن أدريس المالكي الشهير بالقرافي المنهج التربوي في شرح فضيلة العلم في كتاب العزيز فيقول: « أما الكتاب:فمن وجوده: الأول: أن تقول خير البرية من يخشي الله تعالي، وكل من يخشي الله تعالي فهم عالم، فخير البرية عالِمْ».

---

(١) سورة المجادلة:آية رقم ١١.
(٢) سورة آل عمران: آية رقم ١٨.
(٣) سورة الزمر: آية رقم ٩.
(٤) سورة فاطر: آية رقم ٢٨.
(٥) سورة الرعد: آية رقم ٤٣.
(٦) كتاب منهاج العلم- الأمام الغزالي- مخطوط ضمن التراث الأسلامي في خمس مخطوطات د.هشام نشاية- دار العلم للملايين-بيروت-لبنان- الطبعة الأولي ١٩٨٨-صـ٥٧.

بيان الأولي قولة تعالي:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ إلي قولة:﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[١] فأثبت الخشية لخير البرية وهو المطلوب.

وبيان الثانية قولة تعالي: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٢] أضاف سبحانة الخشية إلي كل عالم علي وجه الحصْر،فيكون كل من يخشي الله تعالي فهو عالم وهو المطلوب.الثاني قولة تعالي:﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[٣] بدأ بنفسه، وثني بالملائكة،وثلث بالعلماء،دون سائر خلقه، فيكون من عداهم دونهم وهو المطلوب[٤].

وعن فضل العلم في القرآن يقول القرافي: «الثالث في قولة تعالي﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[٥] وعادة العرب في سياق الامتنان تأخير الأفضل، فتكون موهبته عليه الصلاة والسلام من العلم أفضل من موهبته من الإنزال المتضمن للنبوءة والرسالة وهذا شرف عظيم»[٦]

وعن طلب العلم والعلماء نقول «حدثنا أبو بكر،حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي،حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني،حدثنا شبابه،حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قال: الفقه ، والعقل، والعلم».[٧]

وتمشيا مع السياق القرآني في فضل العلم والعلماء يقول ابن جماعة في كتابة تذكر السامع والتعلّم في آداب العالم والمتعلَّم،ويستشهد بالآيات القرآنية التي لم تذكر في الآيات

---

(١)سورة البينة: الآيات ٧،٨.

(٢) سورة فاطر الآية رقم ٢٨

(٣) سورة آل عمران الآية رقم ١٨.

(٤) الذخيرة- الأمام القرافي- ط١ - صـ٤١.

(٥) سورة النساء: الآية ٢١

(٦) الذخيرة- الأمام القرافي- ط١- صـ٤٢.

(٧) أخلاق العلماء- الأجري -تحقيق أحمد عبد الرحيم الشايخ-الدار المصرية اللبنانية-الطبعة الأولي ١٩٩١ - ١٤٤١هـ- صـ٣٢.

السالفة الذكر. قال الله تعالي﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١] وقال: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[٢]وقال تعالي ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٣] وقال: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[٤] إلي قولة: ﴿ ذلك لمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ فاقتضَتْ الآيات أن العلماء هم الذين يخشون الله تعالي(والذين يخشون الله تعالي)هم خير البرية،فينتج أن العلماء هم خير البرية[٥].

العلماء يعتمدون علي العقل في البرهنة علي وجود الله سبحانه وتعالي ويرد (بوهلر) علي من ينكر وجود الله لهذا السبب بقولة [فقد يستطيع الإنسان أن يفسر ما كان غامضاً عليه باكتشاف القوانين التي يحكمها، ولكن الإنسان عاجز عن أن يسن تلك القوانين» يعني أن اكتشاف القوانين التي تفسرها ما كان غامضاً من ظواهر الكون لا يُصلّح سبباً لإنكار وجود الآلة.....فإن القوانين التي فسَّرت الظواهر تتطلب سبباً موجوداً،فمن سببها وموجدها لا أحد سوي الله[٦]»

ويقول الأمام القرافي أيضاً عن فضل العلم بأنة يرفع من الثري إلي الثريا،ويستدل علي ذلك من القرآن الكريم حيث يقول«في قولة تعالي حكاية عن سليمان علية السلام في أمر الهُدْهُدْ ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾[٧] فلما جاء الهدهد قال ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾[٨] فاشتدت نفسه،واستعلت همته بما علمه علي سيد أهل الزمان،ورسول الملك الديان، مع

(١) سورة النحل- آية رقم ٤٢.
(٢) سورة العنكبوت- آية رقم ٤٨.
(٣) سورة فاطر الآية رقم ٢٨
(٤) سورة البينة- آية رقم ٦.
(٥) تذكر السامع والمتعلم في آداب العالم والمتعلم-ابن الجماعة- مخطوطة منشور في كتاب الفكر التربوبي عند جماعة- د.عبد الأمير-دار الكتاب العالمي-الطبعة الأولي ١٩٩٥م .
(٦) ميزان العمل- الغزالي-تحقيق د.سليمان دنيا-دار المعارف-الطبعة الأولي-١٩٦٤صـ٦٢،٦٣ /صـ٦٣،٦٤
(٧) سورة النمل آية رقم ٢١.
(٨) سورة النمل الآية رقم ٢٢.

عظم ملكة، وهيبة مجلسة، وعلم الهُدْهُدْ بحقارة نفسه،وما تقرر عند سليمان علية السلام من جريمته،والعزم علي عقوبته.

فلولا أن العِلْم يرفع من الثري إلي الثريا، لما عظُم الهدهد بعد أن كان « يود أن يكون نسيا منسيا.فلا جرم أبدل له العقوبة بالإكرام النفيس، وأسبغ علية خلع الرسالة إلي بلقيس»(١)

وعن فضل العلم يقول أبو الأسود الدؤلي«ليس شئ أعز من العلم. الملوكْ حكّام الناس.والعلماء حكّام الملوك.ويحكي أن الحجاج كان يضرب أعناق الأسري فلما قال له أحدهم« إن كنا قد أسَأْنا في الذنب.فما أحسنت في العفو فقال الحجاج أف لهذا الجيف،أما كان فيها أحد يحسن مثل هذا»وأمسك عن القتل»(٢).

إلحاقا فيما سلف ذكره من فضل العلم في القرآن الكريم يقول زين الدين بن أحمد العاملي الشامي في **كتابة منية المريد في آداب المفيد والمستفيد**:أعلمْ أن الله سبحانه وتعالي جعل العلم هو السبب الكلي لخلق هذا العالم العلوي والسفلي طراً، وكفي بذلك جلالة وفخراً قال تعالي في مُحْكَمْ الكتاب ﴿تذكرةً وتبصرةً لأولى الألباب﴾ ﴿اللّهُ الّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنّ يَتَنَزّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنّ لِتَعْلَمُوا أَنّ اللّهَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنّ اللّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾(٣)

- **<u>شرف العلم(علم التوحيد):</u>**

وكفي بهذه الآية دليلاً علي شرف العلم ،لا سيما علم التوحيد الذي هو أساس كل علْمْ ومدار كل معرفة وجعل سبحانه العلم أعلي شرف وأول منَّة أمتن بها علي ابن آدم بعد خلقه(٤).

---

(١) الذخيرة-القرافي- ط١ صـ

(٢) تاريخ العلم ودرر العلماء العرب في تقدمة-د.عبد الحليم منتصر-دار المعارف القاهرة-ط٨-١٩٩٥- صـ٤٤

(٣) سورة الطلاق- آية رقم ١٢.

(٤) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد-العاملي-صـ٩٣.

- **تفضيل ابن آدم علي سائر المخلوقات بفضيلة العلم:**

ويستدل العاملي من القرآن الكريم علي امتنان الله سبحانه وتعالي ابن آدم بعد خلقة وإبرازه من العدم إلي ضياء الوجود، فقال سبحانه في أول سورة أنزلها علي نبيه محمد(ص): ﴿ قْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾(١)

والعلم يكّرم الإنسان،ولو لم يكن من فضل العلم إلا أن الجهال بها بونك ويجلونك وأن العلماء يحبونك ويكرمونك ذلك سبباً إلي وجود طلبة فكيف بسائر فضائله في الدنيا والآخرة،ولم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبة يحسد العلماء.

وأن القوة الدافعة التي جعلت العرب يهتمون بالعلم مصدرها القرآن الكريم وأحاديث الرسول. فمن الآيات التي تحث علي طلب العلم قولة تعالي:﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(٢) ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٣) ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾(٤)(٥).

ويَشْهد بذلك العلماء الغربيين بأن القرآن الكريم ملئ بالآيات القرآنية التي تحث الإنسان علي طلب العلم لذلك يقول(**دوتشي:** أن القرآن كان عاملاً هاماً في رفع مستوي المسلمين وتوحيدهم إلي دراسة العلم وخدمة الفكر)(٦).

«وإذا فتشنا عن الأحاديث التي تُشجِّع علي أخذ العلم وجدنا ذخيرة واسعة تختار منها الأمثلة الآتية:

- أول خلق الله العقل، ولم يخلق أفضل منه.

-من غادر أهلة في طلب العلم فهو سائر في سبيل الله.

---

(١) سورة العلق- آية:١-٤.
(٢) سورة الزمر- آية ٩.
(٣)سورة طة- آية ١١٤
(٤) سورة البقرة -آية ٢٦٩
(٥) تاريخ العلوم عند العرب د.كامل حمودة- دار الفكر اللبناني-بيروت الطبعة الأولي ١٩٩٠م.صـ١٦.
(٦) المرجع السابق-نفس الصفحة.

- طلب العلم فريضة علي كل مسلم. - يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء.
- فضل العالمْ علي العابدْ كفضلي علي أقل واحد منكم»[١].

شرف العلم من شرف الإنسان:

ويتواصل العاملي في نسقه التربوي بذكر فضل العلم في القرآن الكريم حيث يقول« فتأمل كيف افتتح كتابة الكريم المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يدية ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد بنعمه الإيجاد، ثم اردفها بنعمه العلم فلو كان ثمة منّه أو يوجد نعمة بعد نعمه الإيجاد هي أعلم من العلم،لما خصه الله تعالي بذلك وصدرية نور الهداية،وطريق الدلالة علي الصراط المستقيم، الآخذ بحجزة البراعة ودقائق المعاني، وحقائق البلاغة»[٢].

وعندما يكون العلم أشرف المراتب يصبح معبراً عن غاية وشرف نفاسه الإنسان العالِمْ وهذا ظاهرة في سورة العلق لذلك يقول العاملي «وقد قيل في وجه التناسب بين الآي المذكورة في صدر هذه السورة التي قد اشتمل بعضهما علي خلق الإنسان من علق،وبعضها تعليمه ما لم يعلم ليحصل النظم البديع في ترتيب آياته»[٣] وهذه النظم تستدل بها علي وجود الله لذلك يقول جورج هربرت بلونث أستاذ الفيزياء التطبيقية في معهد كاليفورنيا التكنولوجي: والأدلة أنواع-يعني الأدلة علي وجود الله-منها الأدلة الكونية،ومنها الأدلة التي تقوم علي إدراك الحكمة،ثم الأدلة التي تكشف عنها الدراسات الإنسانية.فالأدلة الكونية تقوم علي أساس أن الكون متغير،وعلي ذلك فإنه لا يمكن أن يكون أبدياً،ولابد من البحث عن أدلة أبدية علياً[٤].

(١) المرجع السابق صـ١٦،١٧.
(٢) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد -العاملي- صـ٩٤.
(٣) المصدر- السابق- نفس الصفحة.
(٤) ميزات العمل- الغزالي- تحقيق د. سليمان دنيا- مصدر سابق- صـ٤٠.

تحدثنا فيما سلف عن أن شرف العلم من شرف الإنسان فوجب علينا أن نتحدث عن أهمية حضور مجالس العلم، ولحضور مجالس العلم سمات ومميزات لابد أن نشير إليها،**ولذلك يقول ابن حزم الأندلسي** «إذا حضرت مجلس علم فلا يكن حضورك الاَّ حضور المستزيد علماً وأجْراً لا حضور مستغن بما عندك طالباً عثرة تشيعها أو غريبة تشيعها فهذه أفعال الأرذال الذين لا يفلحون في العلم أبداً فإذا حضرتها علي هذه النية فقد حصلت خيراً علي كل حال وأن لم تحضرها علي هذه النية فجلوسك في منزلك أروح لبدنك وأكرم لخلقك وأسلم لدينك فإذا حضرتها كما ذكرنا فالتزم أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها»[1].

وهذا ما وجدناه عند ابن حزم في شروط ثلاثة لحضور مجالس العلم وهي مما يلي:

أولا: إما أن تسكت سكوت الجُهَّال فتحصل علي أجر النية في المشاهدة وعلي الثناء عليك بقلة الفضول وعلي كرم المجالسة ومودة من تجالس.

ثانياً: فان لم تفعل ذلك فأسئل سؤال المتعلم فتحصل علي هذه الأربع محاسن وعلي خامسة وهي استزادة العلم.

ثالثاً: وصفة سؤال المتعلم أن تسئل عما لا تدري لا عما تدري فان السؤال عما تدرسه سخُف وقلة عقل وشغل لكلامك وقَطْع لزمانك بما لا فائدة فيه لا لك ولا لغيرك وربما أدّي إلي اكتساب العداوات وهو بعدُ عين الفضول فيجب عليك أن تكون فضولياً فإنها صفة سَوْءٍ[2] ومن شروط مجالسة العلماء أيضاً«أن يذاكر به الأقران والأنظار طالباً للتحقيق والمعاونة،لا المغالبة والمكابرة بل غرضه أن يستفيد

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس– ابن حزم الأندلسي – مطبعة السعادة– د.ث صـ١٠٢.

(٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس– ابن حزم الأندلسي – اعتني بتصحيحه وطبعه وضبط كلماته اللغَّوية أحمد عمر المحمصاني مطبعة السعادة– د.ث صـ١٠٢.

ويفيد»[1] لأن خلق الله تعالي الإنسان وفضله علي سائر المخلوقات بالعقل، العقل للذي يبين الخير من الشر،ويفرق بين الحق والباطل.

تعرفنا فيما سبق علي أن شرف العلم من شرف الإنسان،ثم كيفية حضور مجالس العلم،وبعد ذلك تتناول تفسير بعض السوَّر التي تحضر علي شرف العلماء، وبراتبهم، وعن سورة العلق يبين لنا العاملي فضل العلم وشرفه ونفاسته من تفسيره للآيات السابقة في سورة العلق حيث يقول« أنة تعالي ذكر أول حال الإنسان وهو كونه علي علقة مع أنها أحسن الأشياء،وآخر حالة وهو جبروتة عالماً وهو أجل المراتب.كأنة تعالي قال:كنت في أول حَالِكَ في تلك الدرجة التي هي غاية الحساسة قصرت في آخر حالك في هذه الدرجة التي هي الغاية في الشرف والنفاسة،وهذا إنما يتم لو كان العلم أشرف المراتب،إذ لو كان غيره أشرف لكان ذكر الشئ في هذا المقام أولي»[2]،وثم تكريم العلماء نظراً لعقولهم المستنيرة بنعمة العلم.

إكرام الإنسان بنعمة العلم:-

ومن الجدير بالذكر أن العاملي يتابع تفسيره لسورة العلق لبيان شرف العلم وفضلة نظراً لاقترانه بالإكرامية حيث يقول«ووجه آخر أنه تعالي قال: ﴿ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[3] وقد تقرر في أصول الفقه أن ترتيب الحكم علي الوصف مشعر بكَوْن الوصف يكون علة،وهذا يدل علي أن الله سبحانه اختص بوصف الإكرامية لأنة علَّم الإنسان العلم،فلو كان شئ أفضل من العلم وأنفس لكان اقترانه بالإكرامية المؤداة بأفضل التفضيل أولي»[4].

---

(١) ارشاد القاصد إلي أسني المقاصد في أنواع العلوم-الحكيم المتطبب ابن الأكفاني محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصار- تحقيق عبد المنعم محمد عمر-دار الفكر العربي صـ١٠٣

(٢) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد-العاملي-صـ٩٤

(٣) سورة العلق-آية ٣-٥

(٤) المصدر-السابق-نفس الصفحة

وللمزيد من شرف العلماء وفضلهم وإكرامهم بالعقل والعلم، والتعليم، نجد ذلك في بيان شرف:العقل،والعلم، والتعلم عند الإمام الغزالي فيقول: « قد عرفت فيما سبق أن:العلم ،والعمل هما وسيلتا السعادة. وأن العمل لا يتصوَّر إلا بعلم بكيفية العمل.وأن العلم الذي ليس بعملي. كالعلم بالله،وصفاته، وملائكته.مقصود فقد استفدت منه أن العلم أصل الأصول،فلابد أن نرشدك الآن إلي طريق التعلم والتعليم،ولننبه أولاً علي شرف هذه الأمور،وندل عليه فنقول»[1].

وهناك كثير من العلوم التي يجب أن نتعلمها، حيث يقول الغزالي« وأشرف أصول الصناعات:السياسات،إذ لا قوام للعالم إلا بها»

وهي أربعة أضرب:

الأول: سياسة الأنبياء،وحكمهم علي الخاصة والعامة،في ظاهرهم، وباطنهم.

الثاني: الخلفاء،و الولاة،والسلاطين،وحكمهم علي العامة والخاصة جميعاً، لكن علي ظاهر، لا باطنهم.

الثالث: العلماء والحكماء، وحكمهم علي باطن الخواص فقط.

الرابع: الوعاظ والفقهاء،وحكمهم علي باطن العامة فقط.

فأشرف هذه السياسات الأربع،بعد النبوة،إفادة العلم، وتهذيب نفوس الناس[2]

وعن شرف العلم وفضلة يقول ابن حزم الأندلسي«منفعة العلم في استعمال الفضائل عظيمة وهو أنة يعلم حسن الفضائل فيأتيها ولو في الندرة ويعلم قبح الرذائل فيجتنبها ولو في الندرة ويسمع الثناء الحسن فيرغب في مثله والثناء الردئ فينفر منه فعلي هذه المقدمات يجب أن يكون للعلم حصة في كل فضيلة وللجهل حصة في كل رذيلة ولا يأتي الفضائل فمن لم يتعلم العلم إلا صافي الطبع جداً فاضل التركيب وهذه منزلة خُص

(١) ميزان العمل- الإمام الغزالي.صـ٣٢٨

(٢) المصدر السابق-صـ٣٢٩.

بها النبيون عليهم الصلاة والسلام لأن الله تعالي علمهم الخير كله دون أن يتعلموه من الناس»[١].

وعن فضل العلم والعلماء يقول د.وهبة الزحيلي في كتابة أخلاق المسلم وعلاقته بالمجتمع «للعلماء فضل كبير وعظيم في كل زمان ومكان،إذا تقيد بالضوابط وآداب معينة لأنهم ورثه الأنبياء والأصفياء والصديقين والأولياء وعليهم نشر علمهم ومعرفتهم،وتبليغ الناس ما علموه بحق»[٢].

واهتم دستور القرآن الكريم ببيان مكانة العلم والعلماء بقول الله تعالي﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٣] ولقولة تعالي ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤] ولقولة تعالي﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٥] ولقولة تعالي ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٦] ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[٧][٨].

ومن فضل الله تعالي علي العلماء نجد فضل العلم والزهد لا يعطيها إلا لأهل العلم فيقول ابن حزم« من فضل العلم والزهد في الدنيا أنها لا يؤتيها الله عز وجل إلا أهلها

---

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس- فصل في العلم -ابن حزم- مصدر سابق-صـ٢٢
« قال النبي صلي الله علية وسلّم: العقل نور القلب نفرق به بين الحق والباطل،وبالعقل عرف الحلال والحرام وعرفت شرائع الاسلام وموانع الأحكام،وجعلة الله نورا في قلوب عبادة يهديهم إلي هُدّي ويمدهم عن تروي »[العقد الفريد-ابن عبد ربة-صـ٢-صـ٢٤٨]

(٢) أخلاق المسلم وعلاقته بالمجتمع د. وهبة الزحيلي- آداب نشر-الطبقة الخامسة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م صـ٩٢.

(٣) سورة فصلت-آية ٣.

(٤) سورة البقرة:آية٣١.

(٥) سورة آل عمران: آية١٨.

(٦) سورة العنكبوت-آية ٤٣.

(٧) سورة:يوسف-آية٥٥.

(٨) موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي-إعداد خديجة النبراوي-دار السلام الطبعة الأولي-١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.صـ٤.صـ٢٠٣٥.

ومستحقهما ومن نقص علوّ أحوال الدنيا من المال والصوت أن أكثر ما يقعان في غير أهلها وفمين لا يستحقهما»[١].

وطلب العلم من أهم الفضائل الأخلاقية،ويتم المسايرة لأهلها حيث يقول ابن حزم« من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة والبر والصدق وكرم العشيرة والصبر والوفاء والأمانة والحلم وصفاء الضمائر وصحة المودة، ومن طلب الجاه والمال واللذات لم يساير إلا أمثال الكلاب الكلبه والثعالب الخلبة ولم يرافق في تلك الطريق إلا كل عدوّ المعتقد خبيث الطبيعة»[٢].

من الفقرة السابقة لإبن حزم يتضح لنا أن من فضل العلم للعالِمْ التمسك بالفضائل الأخلاقية،ويجعل العالم يتميز بالعلاقات الاجتماعية لذلك يقول جون ديوي«وأقترح أذن أعطاء بيان مختصر عن طبيعة الخلق من وجهة النظر هذه.فالخلق، علي العموم،معناه قوة الفاعلية الاجتماعية،والكفاءة المنظمة للوظيفة الاجتماعية،ومعني هذا،كما أشرنا إلي ذلك آنفاً، أنة بصيرة أو ذكاء اجتماعي، وقوة تنفيذية اجتماعية، واهتمام اجتماعي أو استجابة اجتماعية،وهذا معناه بلغة علم النفس،أنة يجب أن يكون هناك تدريب للدوافع والغرائز التي أصبحت منظمة في عادات تعتبر كوسيلة تعمل»[٣].

من الفقرات السالفة الذكر نلاحظ أن شرف العلم جميل وعظيم فيقول الأكفاني « كفي بالعلم شرفاً أن الله تعالي وصف به نفسه، ومنحه أنبياءه، وخص به أولياءه، وجعله وسيلة إلي معرفته. وسبباً إلي الحياة الأبدية، والنجاة من الشقاوة السرمدية، والفوز بالسعادة الأخروية، وجعل العلماء تلو الملائكة في الإقرار بربوبيته والاختصاص بمعرفته وورثه الأنبياء، فالعلم أشرف ما ورث عن أشرف موروث»[٤].

---

(١) الأخلاق والسير في مداواه النفوس–ابن حزم–صـ٢٢.
(٢) الأخلاق والسير في مداواه النفوس–ابن حزم–صـ٢٢.
(٣) المبادئ الأخلاقية في التربية–جون ديوي– ترجمة عبد الفتاح السيد هلال–الدار المصرية للتأليف والترجمة–بدون طبعةصـ٥٤.
(٤) إرشاد القاصد إلي أسني المقاصد في أنواع العلوم–ابن الأكفاني–صـ٩٣.

- تفسير آيات القرآن الكريم لشرف العلم وفضله:-

فيما سبق ذكره يتبين لنا فضل العلم في الآيات القرآنية، أما العاملي فيشرح لنا هذه الآيات لبيان فضل العلم والعلماء حيث يقول ونبه سبحانه وتعالي قبول الحق والأخذ به علي التذكر،والتذكر علي الخشية وحصر الخشية في العلماء فقال﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾[١]و ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٢]وسمي الله تعالي العلم بالحكمة. وعظم أمر الحكمة فقال﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٣] وحاصل ما فسروه في الحكمة مواعظ القرآن والعلم والفهم والنبوة في قولة تعالي﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[٤]﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[٥] والكل يرجع إلي العلم ورجح العالمين علي كل شئ من سواهم فقال سبحانه:﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[٦]﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٧].

وأولوا الألباب هم أصحاب الحكمة الذين يدركون الأدلة علي وجود الله وأما الأدلة التي تبني علي إدراك الحكمة فتقوم علي أساس أن هناك غرضاً معيناً،أو غاية وراء هذا الكون ولابد لذلك من حكيم أو مدبر وتكن الأدلة الإنسانية وراء طبيعة الإنسان الخلقية،فالشعور الإنساني في نفوس البشر، إنما هو اتجاه إلي مشرع أعظم. أذن تفسير آيات القرآن الكريم تثبت أنه ليس من المعقول أن يكون هناك خلق دون خالق، وهو الله.

قال صلي الله علية وسلم أقوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له، وقيل العقل مرآة الرَّجل،وقال بعض الشعراء: عقل هذا المرء مرآة تري فيها فعالة ألا إن عقل المرء

---

(١) سورة الأعلي- آية ١٠.

(٢) سورة فاطر- آية٢٨

(٣) سورة البقرة –آية ٢٦٩

(٤) سورة مريم- آية ١٢.

(٥) سورة النسار-آية ٥٤.

(٦) سورة الزمر- آية ٩

(٧) سورة الزمر آية ٩.

فينا فؤاده وإن لم يكن عقل فلا.[العقد الفريد–ابن عبد ربه–صـــ٢–صـــ٢٤٩، ٢٥٠–ينصر القلب].

وفي كتاب الياقوته في العلم والأدب، نجد فيه التحفيز علي طلب العلم « قال النبـــي صلي الله عليه وسلم: لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم،فإذا ظن أنـــه قـــد علـــم فقـــد جهل.وقال علية الصلاة والسلام:الناسُ عالم ومتعلم،وســـائرهم همـــج وعنـــه ﷺ:إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب،والمراد جرت به أقلام العُلماء خيـــر من دماء الشهداء في سبيل الله. وقال داود لأبنه سُليمان عليهما السلام:لُفَّ العلـــم حـــول عُنقك،واكتبه لداود علية السلام في ألواح قلبك، وقال أيضاً: اجعل العلـــم مالـــك والأدب حلْيتك»[١].

وعن فضيلة العلم«قيل للخليل بن أحمد:أيهما أفضل العلم أو المال؟: العلم قيل لـــه: فما بال العُلماء يزدحمون علي أبواب المُلوك، والملوك لا يزدحمون علي أبواب العلماء؟ وقال: ذلك لمعرفة العلماء بحق الملوك. وجهل الملوك بحق العلماء. وقال النبـــي ﷺ فضل العلم خير من فضل العبادة. وقال ﷺ :إن قليل العمل مع العلم كثيـــر، كمـــا أن كثره العمل مع الجهل قليل .وقال علية الصلاة والسلام: يحمل هذا العلم من كـــل خلـــق عدوله ينفون عنه تحريف القائلين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وقال سُفيان بـــن عُيينه: إنما العالم مثل السَّراج، من جاءه اقتبس من علمه، ولا ينقصه شيئاً، كما لا ينقص القابس من نور السراج شيئاً»[٢].

«وأمر النبي ﷺ بالزيادة من العلم،ثم جاء الأمر القرآني الآخر، لتأكيد القضـــية والحث علي طلب المزيد من العلم فقال الله تعالي: ﴿ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى

(١) العقد الفريد – كتاب الباقوته في العلم والأدب صـــ٢صـــ٢٠٩.

(٢) المصدر السابق–صـــ٢١٤.

إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1] ،وقال الإمام ابن القيم رحمه الله«وكفي بهذا شرفاً للعلم، أن أمر نبيه أن يسألة المزيد فيه»[2]والعلم للقلوب كالعطر للأرض»

«أن الله سبحانه وتعالي جعل العلم للقلوب كالمطر للأرض فكلما أنه لا حياه الأرض إلا بالمطر فكذلك لا حياه للقلب إلا بالعلم.وفي الموطأ قال لقمان لأبنه: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك، فإن الله يحيي القلوب الميته بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل المطر.... وأما العلم فيحتاج إلية بعدد الأنفاس»[3].

العلم هو الطريق إلي تفسير الأشياء ومعرفتها:

بعد أن بين لنا العاملي معني الحكمة في القرآن الكريم والمراد بها العلم ولفهم يقول بأن هناك سبعة أشياء قرنها الله في كتابه العزيز، وهذه الأشياء لا يمكن معرفتها، والحكمة منها إلا عن طريق العلم لذلك يقول وقرن في كتابه العزيز بين سبعه:- قال تعالي

١- يبين الخبيث والطيب: ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾[4]

٢- وبين الأعمى والبصير

٣- والظلمة والنور.

٤- والجنة والنور.

٥- والظل والحرور، وإذا تأملت تفسير ذلك وجدت مرجعه جميعاً إلي العلم.

٦- وقرن سبحانه إولي العلم بنفسه وملائكته، فقال: ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ﴾[5] وزاد في أكرامهم علي ذلك مع الاقتران المذكور بقولة﴿ وَمَا

---

(١) سورة طه: آية ١١٤.

(٢) المشوق إلي القرأءة وطلب العلم د.علي بن محمد العمران- الطبعة السابقة-دار العصرية للنشر ١٤٣٥هـ- ٢٠١٥م.صـ٢٣.

(٣) مفتاح دار العادة ومنشور ولاية أهل العلم والإدرادة-ابن القيم الجوزية-تحقيق هاني الحاج- ٦٩١هـ/٧٥١هـ- دار التوقيعية للتراث.صـ٢٦١،٢٦٢

(٤)سورة المائدة- آية ١٠٠.

(٥) سورة آل عمران- آية١٨.

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾[1] وبقولة: ﴿ قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَاب ﴾وقال تعالي: ﴿ فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[2][3].

وبالإضافة إلي البرهنة علي أن العلم هو الطريق إلي تفسير الحقائق العلمية بالبراهين الصادقه والحجج المنطقية السلمية، لذلك وضع القلقشندي صفات رئيسية للمعلم وهو قريبة جداً من الشروط التي تتطلبها معاهد التربية في الاختبارات المهنية التي يُجْزونها لراغبي الالتحاق بها ليُعيدُّوا أنفسهم **لوظيفة التدريس وهي ما يلي:**

«يشترط القلقشندي فيه من الصفات الجسمية حسن القد ووضوح الجبين وسعه الجهة، وانحسار الشعر فيها.

ويشترط له من الصفات العقلية:-

- فطنة العقل - وثقافة الذهن - وحدة الفهم.

ويشترط من الصفات الخلقية:-

- العدل - والعفة - وسعه البال»[4]

وينبغي للعلماء عند إرسال رسالتهم العلمية ونشرها وضع شروط وهي ما يلي:-

«ويضع القلقشندي له دستوراً قوياً لإعداد الفكرة وإلقائها كما يلي:- إذا أردت أن تضع كاملاً فأخطر معاينة ببالك،ونقّ له كرائم اللفظ فاجعلها علي ذُكر منك ليقرب تناولها،ولا تقدم الكلام تقدماً، واستعمل جزل الألفاظ، ومهملها،وفصيحها، وسلسها، وتجنب كل ما يكسب الكلام تعميه»[5].

---

(١) سورة آل عمران- آية٧

(٢) سورة المجادلة-آية:١١.

(٣) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد-العاملي-صـ٩٥.

(٤) التربية الإسلامية- نظمها فلسفتها- تاريخها د. أحمد شلبي- مكتبة النهضة المصرية-طـ٧ ١٩٨٢ صـ٢٥٨.

(٥) المرجع السابق- نفس الصفحة.

ويجب علي العلماء من نصب نفسه للناس إماماً في الدين أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويها في السيرة، والرأي، واللفظ، فيكون تعليمة للناس بسيرته أبلغ من تعليمة بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها أحق الإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم.

درجات العلم:-

وهكذا يبين لنا العاملي معني الدرجات في الآية السالفة الذكر من سورة المجادلة فيقول: وقد ذكر الله تعالي الدرجات لأربعه أضاف للمؤمنين

- من أهل بدر:« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم إلي قوله لهم درجات عند ربهم»
- وللمجاهدين[١] وفضل الله المجاهدين
- ومن عمل الصالحات: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾[٢]
- وللعلماء في قولة تعالي ﴿ فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٣]فضل الله أهل بدر علي غيرهم من المؤمنين بدرجات.وفضل العلماء علي جميع الأصناف بدرجات، فوجب كون العلماء أفضل الناس»[٤].

والعلماء أفضل الناس لأنهم يعترفون إن قدرة الله وإلوهيته تتجليان في كل شئ منذ خلق الله هذا الكون ولولا انتظام الكون، لما كان هناك مكان لمعجزة من المعجزات،فكثير من المعجزات التي جاء بها الرسل هي قبل كل شي خروج علي نواميس الطبيعة ولا يمكن تقديرها ومعرفة قيمتها إلا في كون منتظم تسير ظواهره تبعا لقوانين معينة وسنن مرسومة[٥].

---

(١) سورة الأنفال:آية٢.

(٢) سورة طة- آية ٧٥

(٣) سورة المجادلة: آية ١١

(٤) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد –العاملي–صـ٩٦.

(٥) ميزان العمل- الإمام الغزالي.صـ٧٥

وعلي ضوء درجات العلم، وفضل العلماء والقيام بدراستها توجد أيضاً أنواعاً للعلوم و«كان علماء المسلمين في القرن العاشر الميلادي(الرابع من الهجرة) يقسّمون العلوم إلي العلوم عربية وإلي علوم الأوائل أو العلوم غير العربية ومن الأولي علوم اللّسان، والفقه والكلام، والتاريخ وعلوم الأدب، ومن الثانية العلوم الفلسفية والطبيعة والطبّية. وهذا التقسيم صحيح في الجملة»(١).

والعلوم العربية أساساها القرآن الكريم و«كان العرب شغف خاص بلغتهم، وكانت هذه اللغة بما حوت من كثرة في المفردات ووفرة في صور التعبير، وبما في طبيعتها من قبول للإشتقاق خليقة أن تتبوأ مكاناً عظيماً بين لغات العالم»(٢).

ولغتنا الجميلة هي لغة القرآن الكريم وعبر عنها د.طه حسين «لغتنا العربية يسر لا عسر» وقال عنها الشاعر حافظ إبراهيم شاعر النيل «أنا البحر في أحشائة الدَّر كامن..... فهل سائل الغواص عن صدفاتي»

و«إن لغتنا فيها من جمال البيان وقوة الدلالة، ومن الصعوبة أيضاً. ما في اللغة العربية كان من المحتم أن تستلزم أبحاثاً كثيرة عن ما صارت لغة العلم عند السريان والفرس واكبُر ما جعل التعمق في دراسة اللغة أمراً ضرورياً هو اشتغال المسلمين بمدارسة القرآن وقراءاته وتفسيره»(٣).

واللُّغة العربية هي العلم النافع عن طريق العقل الذي هو هبة من عند الله و« قد قالت الحكماء: العلم قائد، والعقل سائق، والنفس ذود، فإذا كان قائد بلا سائق هلكت[الماشية] وإن كان سائق بلا قائد أخذت يميناً وشمالاً،إذا اجتمعا أنابت طوْعاً أو كرهاً»(٤).

---

(١) تاريخ الفلسفة في الإسلام- دي بور- ترجمة محمد عبد الهادي أو زيدة-دار العرب للدراسات والنشر والترجمة سنة ٢٠١٣ صـ٣٥.

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام- دي بور- ترجمة محمد عبد الهادي أو زيدة-دار العرب للدراسات والنشر والترجمة سنة٢٠١٣ صـ٣٥.

(٣) تاريخ الفلسفة في الإسلام- دي بور- ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة - دار العرب للدراسات والنشر والترجمة سنة٢٠١٣ صـ٢٦.

(٤) العقد الفريد-ابن عبد ربة-كتاب الياقوته في العلم والأدب-صـ٢صـ٢٠٧.

ومن آثار الحكماء التي تتحدث عن درجات العلم:

قال ابن المقفع «العلم زين لصاحبة في الرخاء ومنجاه له في الشدة» وقال: كل يوم لا أزداد فيه علماً فلا بورك في طلوع شمس ذلك اليوم، وليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك. « وقال الأضف:كل عز لم يؤيد العلم فألي ذل يصير»(١).

ومن أحاديث الرسول:

و[أفضل الناس المؤمن العالم، لا خير فيمن كان من أمتي ليس بعالم ولا متعلم، والناس عالم ومتعلم والباقي همج، اطلبوا العلم ولو بالصين](٢).

مناقب العلماء في القرآن الكريم:

ومن الجدير بالذكر أن العاملي يؤكد علي مناقب العلماء في القرآن الكريم فيقول «وقد خص الله سبحانه في كتابه العلماء بخمس مناقب:-

الأول: الإيمان، والراسخون في العلم يقولون آمنا.

الثاني: التوحيد، شهد الله أنه لا إلة إلا هو والملائكة وأولوا العلم.

الثالث: البكاء والحزن: إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا.

الرابع: الخشوع،أن الذين أوتوا العلم من قبلة، فعلي المرء أن ينظر إلي العقل كيف يفكر،وإلي العين كيف تبصر، وإلي الأذن كيف تسمع، وإلي اللسان كيف ينطق ثم غلي القلب كيف ينبض.

الخامس: الخشية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾(٣)وقال تعالي مخاطباً لنبيه آمراً له مع أتاه من العلم والحكمة(*): ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(١)وقال تعالي﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ

---

(١) التربية الإسلامية-د.أحمد شلبي صـ٢٨٧.

(٢) التربية الإسلامية-د.أحمد شلبي صـ٢٨٦.

(٣) سورة فاطر: آية رقم٢٨.

(*) قال النبي ﷺ: ما أخلص عبد العمل لله أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبة علي لسانه،وقال ﷺ: الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ولا يبالي من أي وعاء خرجت، وقال ﷺ : لا تضعوا الحكمة من غير أهلها فتظلموها،ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم[العقد الفريد-ابن عبد ربة-صـ٢-صـ٢٥٣،٢٥٤]

بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[٢] وقال تعالي: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٣] فهذه نبذة من فضائله التي نبهّ الله عليها في كتابه الكريم[٤].

ومن الملاحظ أن مناقب العلماء لا يمكن تطبيقها إلا من خلال ضوابط علمية وهي ما يلي:

- أن الغرض من طلب العلم، الثقافة والقرب من الله دون الرياسة والمباهاة ، والمنافسة، وأن يهتم بأخلاق التلاميذ اهتمامه بعقولهم وأن يزجرهم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح بالزجر إلا عند الضرورة.

- علي العلماء أن يختارون للمبتدئ المسائل البسيطة كثير الوقوع، لأن ذلك أقرب إلي الفهم والضبط.

- من مناقب العلماء تطبيق السنة النبوية الشريفة لأنها النبراس إلي العلم المستقيم وقد قال الرسول: من حدَّث الناس بحديث لا يفهمونه كان فتنه علي بعضهم وعلي المتكفل ببعض العلوم ألا يقبِّح علوم الآخرين في نفس المتعلم.

- يجب علي العلماء غرس ملكة الاجتهاد والنظر لا مجرد التقليد والتسليم حتى ينشأ مستقلاً لا نسخة من معلمه.

- ومن آيات القرآن الكريم التي تؤكد علي مناقب العلماء وهي ما يلي:

﴿ فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[٥]

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[٦]

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[١]

---

(١) سورة طه –آية ١١٤.
(٢) سورة العنكبوت –آية ٤٩.
(٣) سورة العنكبوت –آية ٤٣.
(٤) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد– العاملي–صـ٩٦،٩٧.
(٥) سورة المجادلة– آية ١١.
(٦) سورة الزمر–آية ٩.

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢]

ومن أحاديث الرسول:-

«غدو في طلب العلم* أحب إلي الله من مائة غزوة »[٣]

«من يرد الله به خيراً يفقه في الدين »[٤]

العلاقة بين المعرفة ومناقب العلماء:-

فيما سبق ذكره بينا لنا العاملي مناقب العلماء الموجودة في القرآن الكريم، ولكن هذه المناقب مرتبطة بجملة المعارف التي يدركها العالم لذلك يقول أ. العقاد«العلم الذي أمر به القرآن الكريم هو جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السموات والأرض، وما خلق من شئ.....ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون ذي الحياة أو غير ذي الحياة لقولة تعالي: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ ﴾[٥]ولقولة تعالي: ﴿ أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَت ،وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَت ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَت، وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَت﴾[٦]»[٧].

وفي نفس السياق يفسر لنا العقاد موقف الإسلام من العلم حيث يقول: (وموقف الإسلام من العلم- أومن العلوم عامة- يتبين من موقف علمائه المجتهدين في كل حقيبة من تاريخه الذي تعاقب به الأجيال بين القوة والضعف والتقدم والتأخر والنشاط والجمود)[٨]وقالوا:عليكم بثلاث: جالسوا الكُبراء، وخالطوا الحكماء، وسائلو العُلماء.

ومن خلال تطبيق المعرفة بمناقب العلماء قسم ابن رشد الناس إلي ثلاث مراتب في حدود المعرفة، حيث يقول:«

---

(١) سورة طة

(٢) سورة النحل٤٢.

(*) وللعلم ست مراتب أولها: حسن السؤال،والثانية: حسن الإنصات والاستماع، الثالثة: حسن الفهم، الرابعة: الحفظ، الخامسة: التعليم،السادسة:- وهي ثمرته وهي العمل به مراعاة حدوده[مفتاح دار السعادة- ابن القيم الجوزي-صـ٢٦٢]

(٣) البخاري ١:٢٨

(٤) البخاري ١:٢٨

(٥) سورة الأعراف: آية ١٨٥.

(٦) سورة الغاشية آية: ١٧،١٨،١٩،٢٠

(٧) التفكير فريضة اسلامية-أ.عباس محمود العقاد- نهضة مصر -القاهرة-د.ت ط ٢٠٠١ صـ٥٧.

(٨) التفكير فريضة اسلامية-أ.عباس محمود العقاد- نهضة مصر -القاهرة-د.ت ط ٢٠٠١ صـ٥٨.

١- صنف ليس هو من أهل التأويل وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب
٢-وصنف من أهل التأويل الجدلي وهؤلاء هم الجدليون بالطبع أو بالطبع والعادة.
٣- وصنف من أهل التأويل اليقيني وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والضاعة أعني ضاعة الحكمة»[١].

وعلي ضوء هذا التقسيم ينبهنا ابن سينا إلي واجبات العلماء في سيكولوجية التعلم تجاه الصبيان فيقول«يجب أن تكون العناية مصروفة إلي مراعاة أخلاق الصبي، وذلك بأن يحفظ كيلاً يعرض له غضب شديد أو خوف شديد أو غم أو سهر، وذلك بأن يُتأمَّل كل وقت ما الذي يشتهيه ويحنُّ إلية فيقرَّب إلية، وما الذي يكرمه فينحي عن وجهه، لاستجابة لأمره ولكن تيسيراً للحياة علية **وفي ذلك منفعتان:**

إحداهما لنفسه. واقصد من أصناف العلم إلي ما هو أشهي لنفسك وأخف علي قلبك.

والثانية لبدنه: إذا ينشأ من طفولته حسن الأخلاق تبعاً لحسن مزاجه، فالأخلاق الحسنه تابعة لصفاء المزاج، والأخلاق الردية تابعة لسوء المزاج، وحسن الأخلاق يحفظ الصحة للنفس والبدن جميعاً»[٢].

ومن الجدير بالذكر أن الجانب المعرفي عند العلماء المسلمين قائم علي التراث العربي فيقول شاخت وبوزورث «هذا التراث العربي العظيم الذي كان مبنياً في أول الأمر علي المعرفة المباشرة باللغة ثم علي الترجمة شيئاً فشيئاً، كان أعظم مركز لتطوره»[٣] وهذا التراث بني علي العلم لذلك «قيل الخليل بن أحمد: أيهما أفضل العلم أو المال؟ قال: العلم :قيل له: فما بال العلماء يزدحمون علي أبواب الملوك، والملوك لا يزدحمون علي أبواب العلماء؟ فقال:ذلك لمعرفة بحق الملوك. وجهل العلماء، وقال ﷺ: إن قليل العمل مع العلم كثير كما أن كثرة مع الجهل قليل»[٤].

(١) فضل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الأتصال-ابن رضد- تحقيق د. محمد عمارة القاهرة- دار المعارف ١٩٧٢م صـ٥٨.
(٢) التربية الإسلامية د. أحمد شلبي مرجع سابق-صـ٢٩١/٢٩٠.
(٣) تراث الإسلام- شاخت وبوزورث- ترجمة د. محمد زهير السمهوري-ط١ المجلس الوطني للثقافة والفنون -الكويت-١٩٧٨م صـ١٤٦
(٤) العقد الفريد-صـ٢١٣،٢١٤.

أهمية العلوم ودورها في حياتنا اليومية:

من خلال النصوص السابقة يتضح لنا أن للعلم أهمية في حياة الأمة لأن: «العلم في شريعة الإسلام إحياء العقول من سباتها والنفوس من مواتها وتحرير الإنسان من كل ما يكَّبل إرادته لينطلق في الكون ويتجلي أسراره ويجني خبراته ولأهمية العلم في حياة الأمة الإسلامية كان أول شعاع من نور القرآن الذي بعث به خير الأنام ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَق ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَق ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَم ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَم ،عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم﴾[1] وضرورة التفكر* والتفقه** في ملكوت السموات والأرض لتحصيل أنواع العلوم المختلفة أجل من يحصرها هنا قال تعالي﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون﴾[2]» [3]

ومن أهيمه العلم بالنسبة للإنسان يجعله يميز بين الحلال والحرام عن طريق العلماء. لذلك يقول الأمام القرافي«أن العلم ينقل عن الحق للخلق، فيقول« أن الله تعالي حرّم عليكم كذا، وأوجب عليكم كذا، وأذِن لكم في كذا، وأمركم بتقديم كذا، وتأخير كذا»فهو القائم بأمر الله تعالي في خلقة، ومُوصله إلي مستحِقَّه، والرافع عنه تحريف المحرّفين،وتبديل المبّدلين وشبة المبطلين،وهذا هو معني مقام المرسلين»[4].

---

(١) سورة العلق آية ١:٥.

(*) الفكر: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلي مجهول[التعريفات الجرحاني- صـ١٧٠]

(**) الفقه: (هو الفهم، والعلم، والشعر، والطب، لغة وإنما اختص بعض الألفاظ ببعض العلوم بسبب العرف، والفقه في الاصطلاح هو: العلم بالأحكام الشرعية العلمية بالاستدلال، ويقال فقه بكسر القاف إذا فهم وبفتحها: إذا سبق غيرة للفهم(الذخيرة-القرافي-ط١صـ٥٧)

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٧٦

(٣) موسوعة أصول الفكر السياسي الاجتماعي الاقتصادي. خديجة النبراوي-صـ٤ صـ٢٠٤٠

(*)وقالت الحكماء: علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم، فإذا فعلت ذلك حفظت ما علمت ،وعلمت ما جهلت) العقد الفريد-صـ٢١٧.

وقالوا: لو أن أهل العلم صانوا علمهم لسادوا أهل الدنيا، لكن وضعوة غير موضعه فقصَّر في حقهم أهل الدنيا) العقد الفريد-صـ٢٢٢.

(٤) التربية الإسلامية د.أحمد شلبي-مرجع سابق-صـ٢٨٧.

ومن آثار الحكماء في أهمية العلم بالنسبة للعلماء وهي ما يلي:-

يؤكد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه علي أهمية العلم حيث يقول«قال علي بن أبي طالب لكميل: ياكيل، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم حاكم والمال محكوك عليه، والمال تنقيه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق»(١).

وقال أيضاً: «كل يوم لا أزداد فيه علماً فلا بورك في طلوع شمس ذلك اليوم، وليس الخير أن يكثر مالك ولكن الخير أن يكثر علمك»(٢).

كان لك مالاً، وإن استغيث كان لك جمالاً.

وقال ابن المقفع: العلم زين لصاحبه في الرخاء ومنجاة له في الشدة.

«وسئل عبد الله بن المبارك: لو أن الله أوصي إليك: تموت العشية فماذا تصنع اليوم؟فقال:أقوم وأطلب العلم»(٣).

- كيفية تحصيل العلوم والمعارف:-

فيما سبق تحدثنا عن أهم الآيات القرآنية التي تحث الإنسان علي طلب العلم، والآن نتحدث عن كيفية تحصيل هذا العلم؟ وما هي الوسائل التي من خلالها يحصل الإنسان علي العلم؟ ولعل الإنسان العالم مكَّرم من عند الله سبحانه وتعالي أم لا؟ وما هي صفات العلماء؟

للإجابة علي هذه الأسئلة يقول الحارث المحاسبي «فاعلم أنَّ الله عز وجل اجتبي من عبادة المؤمنين ذوي الألباب، والعاملين به، وبأمره، فوصفهم بالوفاء والأخلاق الفاضلة والخوف والخشية،فقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَاب ، الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ

(١) التربية الإسلامية د.أحمد شلبي-مرجع سابق-صـ٢٨٧

(٢)التربية الإسلامية د.أحمد شلبي-مرجع سابق-صـ٢٨٧

(٣) وروي زياد عن مالك قال: كن عالماً أو متعلماً[أو مستمعاً] وأياك والرابعه فإنها مهلكة ولا تكون عالماً حتى تكون عاملاً،ولا تكون مؤمنا حتى تكون تقياً [العقد الفريد ابن عبد ربه ص٢صـ٢٢]

ينقُضُونَ الْمِيثَاق ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَاب﴾[1] فمن شرح الله صدره للإيمان ووصل التصريف إلي قلبه، ورغب في الوسيلة إليه: لزم منهاج ذوي الألباب برعاية حُدود الشريعة من كتاب الله تعالي ،وسبة نبيه ، وما اجتمع عليه المهتدون من الأئمة»[2].

ولا شك أن الكشوف العلمية الحديثة التي تشير إلي ضرورة وجود إلة لهذا الكـــون، قد لعبت دوراً كبيراً في هذه العودة إلي رحاب الله، والاتجاه إلية ،فغاية العلوم عند العلماء هي البحث عن خبايا الطبيعة واستغلال قواها للبرهنة علي وجود الله.

- العلم والعمل:

يقول الإمام القرافي«أن قيمة الإنسان ما يَعلَمُه، لا ما يُعلمه لقول علـــي رضـــي الله عنه: (المرءُ مخبون تحت لسانه) وما قال تحت ثيابه. ومعني هذا الاختباء أنه إن نطـــق بشر ظهرت حسنته ودناءته، وبخير ظهر شرفه وإن لم ينطق بشئ فهو عدم محض عنـــد مشاهِدِه»[3].

ويقول القرافي أيضاً عن الإمام علي « وقال علي رضي الله عنه: «المرءُ بأصغريه قلبه ولسانه»ولم يقل:بيديْه، أي هو معتبر بهما،فإن رفعاه ارتفع وإن وضـــعاه اتضـــع،فالقلب معدن الحكم،واللسان تُرجُمانُه، وماعداهُ في حكم الأعوان البعيدة التي لا اعتـــداد بهـــا». وأنشد عليّ رضي الله عنه في هذا المعني:

الناس مِن جهة التمثيل أكفاء	أبوهم آدم والأم حواء
فإن أتيت بفخر من ذوي نسب	فإن نسبتنا الطين والماءُ
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهمُ	علي الهدي لمن استهدي أدِلاّء
وقيمة المرء ما قد كان يحُسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
فاطلب لنفسك علماً واكتسب أدباً	فالناس موتي وأهل العلم أحياء

(١) سورة الرعد :الآيات ١٩،٢٠،٢١.
(٢) رسالة المسترشدين- المحاسبي- تحقيق عبد الفتاح غدة- دار السلام-الطبعة العاشرة ١٤٢١/٢٠٠٠صـــ٦٩،٧٠
(٣) القرافي: الذخيرة- ط- صـــ٤٦

أما طالب العلم وتطبيقه يقول داود الأنطاكي«عار علي من وهب النطق والتمييز أن يطالب رتبه دون الرتبة القصوى، ويقول: كفي بالعلم شرفاً أن كلاً يدعيه، وبالجهل ضعه أن الكل يتبرأ منه. والإنسان إنسان بالقوة إذا لم يعلم فإذا علم كان إنساناً بالفعل»(١).

وقالوا:لولا العمل لم يُطلب العلم، ولولا العلم لم يُطلب العمل وقال الطائي:ولم يحمدوا من عالمٍ غير عامل غير عالم [العقد الفريد- ابن عبد ربه- ص٢صـ٢٢٢]

- العلم والعمل:

ملاحظ أن العلم والعمل هما أساس الازدهار والتقدم، ويجب علي العالم أن يعمل بعلمه، ولابد أن يتطابق جوهرة مع مظهره، ويظهر ذلك من خلال صدق العالِمْ وورعه وبراهينه الصادقة لذلك يقول المحاسبي«واعلم أنه لا يرضي من العلم والعمل إلا ما ثبت باليقين أصله، وعلا بالصدق فرعه، وأثمر بالورع تباته، وقام بالإشفاق برهانه، وحُجب بالخشية أستاره، فلا ترضي من نفسك بالتواني،فإنه لا عُذرَ لأحد في التفريط، ولا لأحد عن الله غني.واعلم أنَّ من سعادة المرء: حسن النية فيما عند الله تعالي، والتوفيق لمحابه، ومن أراد الله بُه خيراً وهب له العقل وحبب إلية العلم»(٢).

ويؤكد الإمام الغزالي علي حقيقة العلم والعمل من خلال منهجه الصوفي حيث يقول:[ثم إني لما فزعت من هذه العلوم.أقبلت بهمتي علي طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم إنماتمم:بعمل، وعلم وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزة عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلي تخلية القلب عن غير الله تعالي وتحليته بذكر الله، وكان العلم أيسر عليَّ من العمل، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم، مثل(قوت القلوب) لأبي طالب المكي رحمة الله، وكتب إلي رث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن (الجنيد) و(الشلبي) و(أبي يزيد البسطامي) وغير ذلك من كلام مشايخهم،حتى

(١) تاريخ العلم ودور العلماء والعرب في تقدمة د.عبد الحليم منتصر صـ١٣٠.

(٢) رسالة المسترشدين –المحاسبي- مصدر سابق- صـ٢٣٠.

أطلعت علي كنه مقاصدهم العلمية،وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم،بالتعلم والسماع](١).

وقال علية الصلاة والسلام: «إن قليل العمل مع الكثير،كما أن كثير مع الجهل قليل».

ومن خلال تمسك العلماء والعرب المسلمين بالعلم والعمل يمكن أن نبرهن في صدق وأصاله علي أن العرب لم يكونوا فقط مجرد نقلة للعلم اليوناني القديم بل لقد سهموا في تقدمه وأضافوا إلية إضافات جديدة مبتكرة ذات أهمية كبري في المجالات التربوية، وفي مختلف العلوم والفنون التي تخدم الجانب التربوي،فعلي سبيل المثال نجد أن ابن سحنون والقابسي وغيرهم من العلماء قد استندوا إلي قواعد ثابتة وتنظيم عقلي منهجي وهو محل النظر في رسوخ العلم وأصالته لدي أصحابه.

ونريد أن نتوصل عن طريق تمسك العلماء بالعلم والعمل والمنهج الذي التزم به الباحثون العرب، ولذلك نجد أنهم توصلوا إلي تصنيف العلوم عند العرب ويراد بكلمة تصنيف معنيان:

أولهما: أنه« العملية الذهنية التي يتم من خلالها إدارك التشابه أو الوحدة وهذا هو المعني المنطقي».

وثانيها: أنه«عملية ترتيب الأشياء الفعلية الواقعية بحيث تمثل الترتيب المجرد وهذا هو المعني العلمي»(٢).

وخلاصة القول نجد أن العلم والعمل في حياة العلماء جعلهم يسهمون في كل مناهج البحوث فنلاحظ أنهم أسهموا في منهج البحث في العلوم التربوية وهذا ما نجده عند كلاً من ابن سحنون-القابسي-ابن جماعة-الزرنوجي- ابن خلدون،وهذا ما نتحدث عنه في

(١) ميراث العمل- الغزالي-تحقيق د. سليمان- مصدر سابق-صـ١٤٥،١٥٥

(٢) منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية د. جلال محمد عبد الحميد موسي-دار الكتاب اللبناني -بيروت- ١٩٨٢م-صـ٥٥.

غضون هذا البحث،والجانب العلمي يمثل النشاط العقلي حيث يقول د.عبد الحليم منتصر« وعندما يمارس العالم عمله العلمي، في كشف الظواهر،فإنة يستخدم ملكاته العقلية في جميع المشاهدات ثم اختيار حقيقة فرضه أو زيفة. ثم استعمال هذا الفرض لدراسة مشاهدات سابقة فإذا كان في الغرض اجابة ملائمة لكل المشاهدات والتجارب نقول أن العالم قد كشق كشفاً»(١).

قال النبي ﷺ :فضل العلم خير من فضل العبادة.

الفرق بين نافلة العلم ونافلة العبادة عند الأئمة الأربعة:

- تفضيل نافلة العلم علي نافلة العبادة عند الأئمة الأربعة
  - واعلم أن الإشتعال بالنافلة من العلم أفضل من الاشتعال بالنافلة من العبادة

وعلي ذلك الأئمة الأربعة وغيرهم من أساطين الإسلام:

- روي الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ»١:٤١ «عن ابن عباس قال:مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء ليلة».
- وروي الحافظ ابن عبد البر في «الأنتفاء»صـ٨٤ بسنده إلي الربيع بيم سليمان المُرادي تلميذ الإمام الشافعي قال: سمعت الشافعي يقول: طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة. وقال الإمام الكشميري في «فيض الباري علي صحيح البخاري»١:١٦٢ في شرح (كتاب العلم): «لا تُنكر فضل العلم، فإن مالكاً وأبا حنيفة رحمها الله تعالي ذهبا إلي أن الاشتعال بالعلم خير من الاشتغال بالنوافل وعن أحمد روايتان: إحداهما في فضل العلم، والأخري في فضل الجهاد، كما ذكره ابن تيميه رحمة الله تعالي في منهاج السنة».

(١)تاريخ العلم ودور العلماء والعرب في تقدمة د. عبد الحليم منتصر-دار المعارف بمصر ١٩٨٠،صـ٢٠.

- ومن لطيف ما وقع لبعض الأئمة أنه انصرف عن نافلة التعليم إلي نافلة العبادة فوقعت لأحد محبيه رؤيا مناميه دعت ذلك الإمام أن يرجع عن لانقطاع للتعبد إلي نشر العلم وإذاعته(١).

- ومما نجد الإشارة إلية أن لنشر العلم والتدريس شروط وهي: قال الغزالي«ولاحظت أعمالي، وأحسنها التدريس والتعليم، فإذا أنانيها مقبل علي علوم مهمة، ولا نافعة في طريق الآخرة، ثم تفكرت في نيتي في التدريس،فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالي،بل باغتها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت، فتيقنت أني علي شفا جرف هار»(٢).

وقال النبي: كرم الرجل دنُية، ومُروءته عقله، وحَسَبُه خلقة

وعن شرف العلم والعقل فمدرك بضرورة: العقل ،والشرع، والحس حيث يقول الإمام الغزالي«أما الشرع فقد قال عليه السلام: [أول ما خلق الله العقل،فقال له: أقبل. فأقبل. ثم قال له: أدبر فأدبر. ثم قال: وعزتي وجلالي....ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك. بك آخذ. وبك أعطي، وبك أثبت. وبك أعاقب]»

وهذا العقل الذي يدرك به الإنسان الأشياء يجري من العقل الأول، الذي خلق الله عز وجل، مجري النور من الشمس.فإن هذه العقول عقول بالإضافة إلي الأشخاص. وذلك مطلق من غير إضافة(٣).

وعن أهمية العقل في تناول العلوم المختلفة فله دلالة فعلية مهمة فيقول الإمام الغزالي«وأما دلالة العقل، علي شرف العقل، فهو أن ما لا تنال سعادة الدنيا والآخرة إلا به، فكيف لا يكون أشرف الأشياء».

(١) رسالة المسترشدين- المحاسبي- صـ٢٣٠.
(٢) ميزان العمل- الغزالي-صـ٥٧.
(٣) ميزان العمل- الإمام الغزالي- صـ٣٣١

وبالعقل صار الإنسان خليفة الله، وبه تقّرب إلية، وبه تم دينه،ولذلك قال عليه السلام[لا دين لمن لا عقل له] وقال [لا يعجبكم إسلام امرئ حتى تعرفوا عقله] ولهذا قيل:[من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه،كان حتفه في أغلب خصال الخير عليه] وناهيك به شرفاً أن قد شبة الله سبحانه العقل بالنور فقال:[الله نور السموات والأرض] أي منورها.

وأكثر ما يطلق النور والظلمات في القرآن علي العلم والجهل مثل قوله تعالي[أالله ولي الذين آمنوا يخرجُهُم من الظلمات إلي النور][1] «وكأن الإنسان إنسان بالقوة ما لم يعلم ولا يجهل جهلاً مركباً فإذا عليم العلم صار إنساناً بالفعل عارفاً بربه مستحقاً لجواره وقربه، وإذا جهل جهلاً مركباً صار حيواناً تاهاً بل الحيوان خير منه. فقال الله تعالي: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[2]»[3].

وقال سفيان ابن عُيينة:إنما العالم مثل السراج،من جاءَه اقتبس من علمه ولا ينقصه شيئاً.كما لا ينقص القابس من نور السراج شيئاً [العقد الفريد-ابن عبد ربة- صـ٢.صـ٢٠١٤]

- مكانة العلماء:

وعن مكانة العلماء يقول ابن حزم الأندلسي«لو لم يكُن من فضل إلا أن الجُهَّال يهابونك ويجُلُّونك، وأن العلماء يحُبَّونك ويكرمونك لكان ذلك سبباً إلي وجوب طلبه، فكيف بسائر فضائله في الَّدنيا والآخرة؟!»

ولو لم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبة يحسدُ العلماء، ويغيظ نظراءه، من الجهَّال لكان ذلك سبباً إلي وجوب الفرار عنه فكيف بسائر رذائلة في الدنيا والآخرة؟!![4].

---

(١) ميزان العمل- الإمام الغزالي.صـ٣٣١.

(٢) سورة الفرقان- الآية٤٤.

(٣) إرشاد القاصد إلي أسني المقاصد في أنواع العلوم- الأكفاني-مصدر سابق-ص٩٤.
سئل اعرابي: أي الأسباب أعون علي تزكية العقل وأيها أعون علي صلاح السيرة؟ فقال أعونها علي تزكية العقل التعّلم،واعونها علي صلاح السيرة القناعة.

(٤) كتاب الأخلاق والسير- أو رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل -ابن حزم- تحقيف إيفا رياضي-دار ابن حزم-الطبعة الأولي١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.صـ٨٧.

وللعلم فضائل كثيرة ومتنوعة تعود علي العالم بالخير والبركات، وتمنعه من الاشتغال بالوساوس والأعمال الشريرة لذلك يقول ابن حزم «لو لم يكن من فائدة العلم،و الاشتغال به، إلا أنه يقطع المُشتغل به عن الوساوس المُضنية، ومطارح الآمال التي لا تفيد غير الهم ،وكفاية الأفكار المؤلمة للنفس،لكان ذلك أعظم داع إلية، فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره»(١).

ويقول ابو قلابة: مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء من تركها ضل، ومن غابت عنه تحير.

وقال معاذ بن جبل:تعلموا العلم فإن تعلمه حسنه، وطلبه عبادة، وبذلة لأهلة قربة. والعلم منار سبيل أهل الجنة، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل في السراء والضراء.[العقد الفريد- ابن عبد ربة-ص٢،صـ٢١٥،٢٦١]

وعن مكانة العلم والعلماء يقول الشيخ الإمام المَحدث المفسر العلامة(صديق بن حسن القنوجي رحمة الله١٢٤٨هـ١٣٠٧هـ):

- الاستدلال من الأحاديث الشريفة:

حيث يقول« وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ تعلموا العلم فإن تعلمه لله تعالي خشية، وطلبه عبادة ،ومذاكرته تسبيح،والبحث عنه جهاد، وتعليمة لمن لا يعلمه صدقة، وبذلة لأهلة قربة، لأن معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغُربة، والمحدث في الخلوة، والدليل علي السراء والضراء، والسلاح علي الأعداء، والتَزين عند الأخلاء، يرفع الله تعالي به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقفي آثارهم ويعتدي بفعالهم.ترغب الملائمة في خلتهم،وبأضحتها تمسهم،يستغفرونهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامّة،وسباع البرد وأنعامه،لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم.يبلغ العبد بالعلم

(١) المصدر السابق- نفس الصفحة.

منازل الأخبار والدرجات العلي في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل الصيام،ومدارسته تعدل القيام،به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام،هو إمام والعمل تابعه، ويلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء»*(١).

- بقاء العلم بعد فناء الإنسان:

ويؤكد القنوجي علي شرف العلم ومكانته مستدلاً من الأحاديث النبوية الشريفة حيث يقول«وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث،إلا من صدقة جارية،أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(٢)»(٣).

وعنه رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ:«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلي الجنة»(*)(٥).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«طلب العلم فريضة علي كل مسلم،وواضع العلم عند غير أهلة كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ»(*)(٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من تعلم علماً مما ينبغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد تمره في الجنة يوم القيامة»(*)(٧).

(*) أورده ابن عبد البر في كتاب(جامع بيان العلم) بإسنادة وقال:هو حديث حسن جداً وفي إسناد ضعف.وروي أيضاً في طرق شتي موقوفاً علي معاذ. وقد يقال: الموقف في مثل هذا كالمرفوع لأن مثله لا يقال بالرأي.

(١) أبجد العلوم-القنوجي- دار ابن جزم- بيروت-الطبعة الأولي ١٤٢٣هـ،-٢٠٠٢م.

(٢) رواة مسلم.

(٣) أبجد العلوم-القنوجي-مصدر سابق صـ٦٢.

(*) رواة مسلم.

(٥) أبجد العلوم- القنوجي- مصدر سابق-صـ٦٢

(*) رواة ابن ماجة، ورواة البيهقي في (شعب الإيمان) إلي قولة(مسلم) وقال : هذا حديث متنه مشهور،وإسناده ضعيف. وقد روي من أوجه كلها ضعيف.

(٦) أبجد العلوم- القنوجي- مصدر سابق-صـ٦٣

(*) رواة أحمد وأبو داود وابن ماجة.

(٧) أبجد العلوم- القنوجي-صـ٦٣.

وقال الحسن: العلم علمان: علم في القلب،فذاك العلم النافع،وعلم في اللسان، فذاك حجة الله علي عباده.

- مراتب العلوم وتفاوتها:

العلوم مراتب ودرجا في العلم والعمل، وفي النظر والتطبيق، وفي الأهمية والمصلحة لذلك يقول القنوجي: «ثم أن العلوم مع اشتراكها في الشرف تتفاوت فيه، فمنه ما هو بحسب الموضوع كالطب فإن موضوعة بدن الإنسان. والتفسير فإن موضوعه كلام الله سبحانه وتعالي والإخفاء في شرفها. ومنه ما هو الغاية كعلم الأخلاق فإن غايته معرفة الفضائل الإنسانية.ومنة ما هو بحسب وثاقة الحجة كالعلوم الرياضية فإنها برهانية ومن العلوم ما يقوي شرفة باجتماع هذه العبارات فيه أو أكثرها كالعلم الإلهي فإن موضوعة شريف وغايته فاضلة والحاجة إلية ماسة.وقد تكون أحد العلمين أشرف من الآخر باعتبار ثمرته، أو وثاقه دلالة أو غايته. ثم أن شرف الثمرة أولي من شرف قوة الدلالة.فأشرف العلوم ثمرة العلم بالله سبحانه وتعالي وملائكته ورسله وما يعين عليه فإن ثمرته السعادة الأبدية»[1].

ومراتب العلوم لا تتم إلا بحاسبة العقل،«ولذلك قال رسول الله عليه السلام لعليّ رضي الله عنه:[إذا تقرب الناس لخالقهم بأبواب البر، فتقرب أنت بعقلك تنعم بالدرجات والزلفي، عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة]»[2].

ويقول الأكفافي«والعلوم مع اشتراكها في الشرف تتفاوت فيه، فمنها ما هو بحسب الموضوع كالطب فإن موضوعه بدن الإنسان ولإخفاء بشرفه، ومنها ما هو بحسب الغاية كعلم الأخلاق، فإن غايته معرفة الفضائل الإنسانية ونعمت الفضيلة. ومنها ما هو بحسب الحاجة إلية كالفقة فإن الحاجة إلية ماسة، ومنها ما هو بحسب وثاقة الجج كالعلوم

(١) أبجد العلوم- القنوجي-صـ٦٥.
(٢) ميزان العمل- الإمام الغزالي -صـ٣٣٢

الرياضية،فإنها برهانيه يقينية. ومن العلوم ما يقوي شرفهُ بإجماع هذه الاعتبارات فيه أو أكثرها كالعلم الإلهي فإن موضوعه شريف وغايته فاضلة والحاجة إلية مهمة»[١].

وسئل عن أجود المواطن أن يختبر فيه العقل، فقال: عند التدبير وسئل :أي الأشياء أدلُّ علي عقل العاقل؟قال:حُسن التدبير.

ولكي تؤكد علي بقاء العلم بعد فناء الإنسان، لابد أن تشير إلي جهود علماء المسلمين وأثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية **وتشمل جميع أنواع العلوم والفنون وهي كما يلي:**

١- في علم الطب:

«طور المسلمون علم الطب تطويراً شاملاً علي النحو الذي علموه مع مختلف الدراسات وتأثرت ثقافته الغرب الطبية تأثيراً عميقاً بما اقتبسه من المسلمين في هذا المضمار، وقد بدأت عناية المسلمين بكليات الطب وبالمستشفيات التابعة لها في وقت مبكر، أي منذ اتجهوا بعنايتهم لخدمة الثقافة وخدمة العلوم، فقد أسس هارون الرشيد في القرن التاسع أولي كليات الطب ببغداد، وسرعان ما تتابع إنشاء كليات الطب في مختلف العواصم الإسلامية، وضيعت لها الكتب الطبية المناسبة التي ترجمت فيما بعد إلي مختلف اللغات الأوربية ولعل أولي الرسائل الطبية التي وضعها المسلمون، تلك الرسالة التي كتبها علي الطبري سنة ٨٥٠م وقد اتخذت هذه الأفكار اليونانية والهندية في الطب أساساً لها وكان اسمها«فردوس الحكمة»[٢] وبذل الرواد من مؤرخي العلوم جهداً بالغاً في دراسة تاريخ الطب العربي، ووصفوا كيف نشأ في بغداد وكيف نما وازدهر حتى بلغ أوجه في عهد الرازي وابن سينا وكيف انتقل بعد ذلك إلي الأمم اللاتينية، وقد آن لنا أن نعيد البحث في ما قال به المؤرخون الأولون. كي تتبين بقاء علمهم في جميع المجالات العلمية

(١) إرشاد القاصد إلي أسنى المقاصد في أنواع العلوم- تأليف الحكيم المتطبب-ابن الأكفاني-صـ٩٤،٩٥.
وقالوا:لا يكون العالم عالماً،حتى تكون فيه ثلاث خصال:لا يحتقر من دونه، ولا يحسد من فوقة،ولا يأخذ علي العلم ثمناً، وقالوا:رأس العلم الخوف من الله تعالي[العقد الفريد -صـ٢،صـ٢٢٠]

(٢) الفكر الإسلامي- منابعة وآثار-د.أحمد شلبي-مكتبة النهضة المصرية-الطبعة السادسة١٩٧٨م.صـ١٤١.

و«كتاب القانون من الكتب العالمية. مثله كمثل فلسفة أرسطو.وهندسة أوقليدس والماجطي في الفلك وكتاب سيبويه في النحو. هذه الكتب تمثل غاية العلم القائم علي نوع بعينية من التفكير فيها حل لكل المشاكل المتعلقة بموضوعها بحيث لا يجد معاصروها تفكيراً »حاجة إلي الريادة فيها أو تغييرها وهذه من خصائص العلم القديم القائم علي كليات محدودة. فكان من الممكن للعباقرة أن يبلغوا غايته»[١].

ونلاحظ أن علماء العرب المسلمين تركوا لنا مجلدات في علم الطب مثل ابن سينا وابن رشد والزهراوي والرازي، ومن الواجب علينا هنا أن نستشهد من تراثهم وكتبهم ونصوصهم وهي ما يلي:

أولاً:القانون في الطب لابن سينا:

ومن الطيور النافعة التي ذكرها ابن سينا وهي«النعام»

النعام: هو طائر معروف بعض الأطباء يبني علي لحمة بناء عظيماً وقد ذكر بعض الأطباء أن لحمه حار دسم يُبَسِّط الطعام ويقوي الجسم ويصلحه وهو غليظ لا ينهضم ويزيد الباه[٢].

البلح:

البلح جيد للثة وهو يعزز البول وإذا شرب بخل عفص منع سيلان الرحم ونزف البواسير. وطبيخ البسر(وهو نوع من البلح) يسكن اللهيب مع حفظ الحرارة الغريزية والإكثار من اليسر والبلح يولد في البدن أخلاطاً غليظة[٣].

وهناك أيضاً جابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء، وترك لنا رسائله مثل:-

كتاب إخراج ما في القوة إلي الفعل،وكتاب الحدود، وكتاب الماجد، والجزء الأول من كتاب الأحجار علي رأي بلياس، والجزء الثاني من كتاب الأحجار علي رأي بلياس،

---

(١) آثر العرب والأسلام في النهضة الأوروبية-تأليف نخبة من الأساتذة-الناشر منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة(يونسكو) والهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة١٩٧٠.

(٢)القانون في الطب: ابن سينا شرح وترتيب أ. جبران جبور- مؤسسة المعارف-بيروت- د.ت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م صـ٢١٦.

(٣)المصدر السابق-صـ٢٧.

وكتاب ميدان العقل وكتاب الخواص الكبير، والذي عني بتصحيحها ونشرها ب.كـــراوس ونتناول بعض النصوص الأصلية لجابر بن حيان في كتابة (إخراج ما فـــي القـــوة إلـــي الفعل) حيث يقول«القول في تقسيم الأشياء: الأشياء كلها تنقسم قسمين: إما نطـــق وإمـــا معني، والكلام الذي لا معني تحته فلا فائدة فيه والمعني كالجوهر والكلام في المعني عند ذلك المعني كالعرض، وكذلك حد البلاغة أيضاً، والحروف ثمانية وعشرون حرفاً لـــيس في قوة العربية استخراج أكثر منها، بل في القوة استخراج مكان الحروف المشبهة»[1].

والرياضيات والعلوم التي نالت الشيء الكثيرين اهتمام العرب وعنايتهم، فلقد برعوا فيها وأضافوا إليها إضافات هامة أثارت إعجاب علماء الغرب ودهشتهم.

وهناك مآثر العرب في الرياضيات وهي من أهم العلوم التربوية التي تنمي القدرات العقلية عند الأطفال، فهناك آثر بابل في الرياضيات وآثر المصريين في الرياضيات وآثر اليونان في الرياضيات وآثر الهنود في الرياضيات، ونجد إسهامات العرب المسلمين فـــي مآثر العرب في الرياضيات مثل فضل العرب في اختراع الكسر العشري، ونظام الترقيم وأنواع الأرقام فكرة الصفر ومزايا النظام العشري، والعلامة العشرية،وأيضاً هناك مـــآثر العرب في الجبر فالعرب أوّل من ألف في الجبر مثل المعادلات عن(الخوارزمي)، ونجد إسهامات العرب في الهندسة مثل شرح العرب لكتاب اقليدس، ومن ضمن مؤلفات العرب في الهندسة مثل النسبة التقريبية، وقضية المتوازيات، والمربعات الســـحرية، والهندســـة الحسية والعقلية ويقول د.حافظ قدري طوفان «أما الكسور فإن طـــرق العـــرب فيهـــا لا تختلف عن الطرق المعروفة الآن وقد بحثوا استخراج المجهولات وبرعوا فـــي الطـــرق التي أنتجوها لذلك، فقالوا باستخراج المجهولات بالأربعة المتناسبة، وبحساب الخطـــأين، وبطريقة التحليل والتعاكس، وبطريقة الجبر والمقابلة وكانوا يكثرون من الأمثلة والتمارين

(١) مختار رسائل جابر بن حيان– عني بتصحيحها ونشـــرها ب.كـــراوس –مكتبـــة الخـــانجي ١٣٤٥هـــ– ١٩٣٥م.صـــ٨.

في مؤلفاتهم، ويأتون بمسائل عملية تتناول ما كان يقتضيه العصر، ويدور علي المعاملات التجارية والصدقات وإجراء الغنائم والرواتب علي الجيوش»[١].

ومما نجد الإشارة إلية في مآثر علم الفلك عند العرب(محي الدين المغربي) وهو:‹محي الدين يحيي بن محمد بن أبي الشكر المغربي› من رياضي وفلكي الأندلس من أهل قرطبة كان في المشرق أيام النصير الطوسي وعمل معه في المرصد‹بمراغة› وتوفي سنة ٦٨٠هـ-١٢٨٠م. وله مؤلفات في الفلك والتنجيم منها:- «كتاب الجامع الصغير في حكم المواليد» وكتاب«النجوم» «وكتاب الجامع الصغير في أحكام النجوم»« وكتاب تستطيع الاسطراب»«وكتاب تاج الأزياج وغنية المحتاج»[٢].

وكان يقول العقل ضربان:عقل الطبيعة وعقل التَجربة، وكلاهما يُحتاج إليه ويؤدي إلي المنفعة،ويقال: ما شئ بأحسن من عقل زانة حلم، وحلم زانة علم، وعلم زانة صدق، وصدق زانة عمل، وعمل زانة رفق.

ويتجلي في علم الطبيعة الحسن بن الهيثم مؤسس هذا العلم، وظهر ابن الهيثم في القرن الخامس للهجرة في البصرة، ونزل(مصر) واستوطنها إلي أن مات سنة ١٠٣٨م « جاء في كتب التاريخ: إنة نقل إلي حاكم مصر أن«ابن الهيثم»قال: لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملاً، يحصل النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقصان»[٣].

وقال عنه ابن أبي أصيبعه: « كان ابن الهيثم فاضل النفس، قوي الذكاء، متفنناً في العلوم، لم يمثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه، وكان دائم الاشتغال كثير التصنيف، وافر الزهد»[٤].

(١) تراث العرب العالمي في الرياضيات والفلك- قدري حافظ طوقان- دار القلم بالقاهرة الطبقة الثالثة ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م.صـ٥٥،٥٦،٥٧.
(٢) تراث العرب العالمي في الرياضيات والفلك- قدري حافظ طوقان-.صـ٤٧٤.
(٣) تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، قدري حافظ طوفان- مرجع سابق صـ٢٩٥.
(٤) تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، قدري حافظ طوفان-صـ٢٩٦.

ومن أهم مؤلفات ابن الهيثم«الشكوك علي بطليموس» حيث يقول في الفصل الحادي عشر من المقالة الأولي من المجسطي«وهو في القوس التي بين الانقلابيين، إنة عمل آلة نصبها في وسط سطح دائرة نصف النهار، ورصد الشمس في أوقات نصف النهار، نعرف موضوعا في كل يوم وبعدها من سمعت الرأس.ثم يقول: وجدنا القوس التي بين الانقلابين نكون في جميع الأوقات سبعة وأربعين جزؤا، وأكثر من المثني جزء وأقل من نصف وربع جزء»(١).

ويبرهن ابن الهيثم علي شكوكه فيقول«فقد استعمل في هذا الموضع معينين هما مفسدات لمقدار القوس التي بين الانقلابيين ولمقدار الميل، ومع ذلك يلزمه فيما «استعمل التناقض» وذلك أن أحد المعينين اللذين استعملها هو أن الشمس هي في نقطة الانقلاب في وقت كونها علي دائرة نصف النهار وذلك غير واجب.....إلا أنه لم يذكر أنه تسلم هذا المعني ،وقد كان يجب عليه أن يكشف هذا المعني، ويبين كيف يمكن أن يحقق»(٢).

ويقول أبو عبد الله محمد بن سحنون ولد (٢٠٢هـ - ٢٥٦هـ) عن مكانة العلم والعلماء في كتابه آداب المعلمين وآداب المناظرين الجامع في فنون العلم والفقه والتاريخ، والرسالة الجنوبية، وأجوبة ابن سحنون، نجد في كل مؤلفاته يتناول مكانه العلم والعلماء، عن طريق تناوله القضايا التعليمية المتعددة مثل أخلاقيات التعليم كمهنة ، وموضوعات التعليم ، وصفات المعلم الناجح، ويذكر ابن سحنون أن الأحوال التي تترتب علي العلوم والأعمال من أجل بناء العملية التعليمة والأصلاح ونجد في رسالته ما يلي:

١- العلم بالله وأسماءه وصفاته وأفعاله، والعلم بالسنة النبوية المطهرة.

٢- العلم بالعلوم الشرعية، والعلوم النافعة التي تنفع الإنسان في حياته.

---

(١) الشكوك علي بطليموس-الحسن ين الهيثم- تحقيق د. عبد الحميد صبره وآخرون مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة د.ت.صـ١١.

(٢) الشكوك علي بطليموس-الحسن ين الهيثم- تحقيق د. عبد الحميد صبره وآخرون مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة د.ت.صـ١١

٣- العلم نور والجهل ظلمات لقوله تعالي: ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ سورة الرعد(آية ١٦).

٤- والعالم بمنزله البصير والجاهل بمنزله الأعمي لقوله تعالي: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِير ۞ وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّور﴾ سورة فاطر (آية: ١٩، ٢٠)

ومن الجدير بالإشارة أن رسالة القابسي وهي أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين وكتاب الاعتقادات، وكتاب مناسك الحج، وكتاب ملخص الموطأ، وكتاب الذكر والدعاء، نجد أنه يشير إلي **مراتب العلم والعمل الثلاث وهي ما يلي:**

١- رواية هي مجرد نقل وحمل المروي ٢- دراية وهي فهم تعقل معناه

٣- ورعاية وهي العمل بموجب ما علمه وعدم التفريط فيما نعلم.

٤- والعلم النافع عند القابسي هو العلم بأسماء الله وصفاته وعلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح.

" تعقيب "

يتضح لنا فيما سبق في هذا الفصل وهو «مكانة العلم والعلماء» أن القرآن الكريم يؤكد علي فضل العلم وشرفة لقولة تعالي: ﴿يَرْفَعِ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ ويقول العزيز﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

ذكر القرآن الكريم أن العلم هو الطريق إلي تفسير الأشياء ومعرفتها لقولة تعالي﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾سورة الأعراف. والعلم في الإسلام يتناول كل موجود، وكل ما يوجد فمن الواجب أن يعلم، فهو علم أعم من العلم الذي يراد الأداء الفرائض والشعائر، ولهذا قال النبي ﷺ في فضل هذه العبادة {إن فضل العالم علي العابد كفضل القمر ليلة البدر علي سائر الكواكب،وأن العلماء ورثة الأنبياء}

تحدث القرآن الكريم عن درجات العلم، ومناقب العلماء مثل الإيمان والتوحيد والبكاء، والخشوع وتناولنا العلاقة بين المعرفة ومناقب العلماء، ويقول الله تعالي﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ومن شروط التعليم والتعلَّم، أن يذاكر به الأقران والأنظار طلباً للتحقيق والمعارفه لا المغالية والمكابرة بل غرضه أن يستفيد ويفيد، وأن لا يدخل علماً في علم، لا في تعليم ولا مناظرة فإن ذلك مشوش، وكثيراً ما غالط الأطباء جالينوس بهذا السبيل.

وقد تناولنا أهمية العلوم ودورها في حياتنا اليومية، لأن العلم الذي أمر به القرآن الكريم هو جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق من شئ....ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون ذي الحياة أو غير ذي حياة، وانتقلت بعد ذلك إلي تنظيم عملية التعليم والتعلَّم من خلال العلم والعمل، لذلك يقول بعض الحكماء: عليك بالعلم والإكثار منه، فإن قليلة أشبة شئ بقليل الخير. وأنشد بعضهم في طلب الاستزادة من العلم وعدم الاقتصاد علي فن:

احرص علي كلّ علم تبلغ الأمل ولا تواصل لعلم واحد كسلا
النحل لما رعت من كل فاكهة أبدت لنا الجوهرين الشمع والعسلا

الشمع بالليل نورٌ يستضاء به والشهد يُبري بإذن الباري العلا

ومن مناقب العلماء الاستمرارية في طلب العلم، وهذا مصداق خبر النبي ﷺ:«إلي متى تطلب العلم؟ قال: من المحبرة إلي المقبرة، ولمعرفة مناقب العلماء نقول: لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل،و العاقل في الأدب، والجاهل يهرب منه، وعلامة العلم العمل بالأعراض عند المبادهة».

ويقول الاسكندر: وقال في القلم: لولا القلم ما قامت الدنيا ولا استقامت المملكة، وكل شئ تحت العقل واللسان لأنها الحاكمان علي كل شئ والمخبرات عن كل شئ، والعلم يوجد لها شكلين ويريكمها صورتين.

وقال فيه أيضاً: القلم بَريدُ العقل فتوقوا زلقاته، وتصفحوا نتائجه، فإن البريد إذا زلق وكذب هجن صاحبة. ومن ها هنا قيل: إذا كذب السفير بطل التدبير.

ويتناول ابن سحنون في رسالته آداب المعلمين مراتب العلم في الإسلام وهي ما يلي:

١- سماعه ثم عقله ثم تعاهده ثم تبليغه

٢- والعلم في نظر الإسلام أما أن يكون: تارة في الأذهان، وتارة في اللسان، وتارة في الكتابة بالبنان، أي ذهني – لفظي لذلك يقول: " عن مالك ابن شهاب عن عروة ابن الزبير، عن عبد الرحمن بن القارئ، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: " أنزل القرآن علي سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه"(١).

٣- ويقول ابن سحنون عن مكانة المعلم وواجباته: " وينبغي له أن يعلمهم أعراب القرآن وذلك لازم له، والشكل، والهجاء، والخط الحسن، والقراءة الحسنة ، والتوقيف، والترتيل"(٢).

– أمام القابسي في رسالته المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين يقول: لولا المعلمون أي شيء كنا نكون نحن؟ ويشر ما في هذه الحكاية عن مالك ما ذكره ابن سحنون قال: حدثونا عن سفيان الثوري عن العلاء ابن السائب قال: قال بن مسعود : ثلاث لابد للناس منهم، من أمير يحكم بينهم، ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً ولابد للناس من شراء المصاحف وبيعها ولولا ذلك لبطل كتاب الله، ولابد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ علي ذلك أجراً، ولولا ذلك كان الناس أمين"(٣).

(١) رسالة آداب المعلمين ابن سحنون – صـ ٣٥١

(٢) المصدر السابق – صـ ٣٥٨

(٣) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين القابسي – صـ ٢٩٣

الفصل الثاني

تمهيد

سوف نتحدث في الفصل الثاني وهو«أخلاقيات مهنة الُمعلمِّ» عن نصوص كثير تكون بداية لابن سحنون والقابسي.

وفي بداية هذا الفصل نتناول فضل العلم وأهل العلم، لكي يكون العلم الصحيح هو النبراس الحقيقي للأخلاق عند العلم، وسوف نشير إلي نصوص ابن سحنون والإمام الغزالي في التمسك بأخلاقيات العمل في تعليم الأطفال، ومن أهم فضائل العلم وآدابه هو الاستعانة بالله في جميع الأعمال ورد المشيئة إلية دائماً، والتمسك بفضيلة الصبر لأنه أعظم وسيلة لبلوغ الرتب العالية والمنازل السامية.

ونتناول في هذا الفصل العلوم الحكمية العلمية وتنقسم إلي علم الأخلاق، السياسة، وتدبير المنزل والمراد بالحكمية ههنا استكمال النفس الناطقة في قوتيها النظرية والعلمية بحسب الطاقة الإنسانية ويكون بتزكية النفس باقتنائها الفضائل ،واجتنابها الرذائل، وهذا ما يجب علي المعلم المتمسك به في طلب العلم، وتعليم المتعلم، وهذه القيم الأخلاقية واقعية تلائم فطرة الإنسان، ويجب علي المعلم أن يتجنب الهوى، حيث لا يسير خلف شهواته.

ونؤكد علي أهم الحقائق الأخلاقية العامة التي يتبعها المُعلم في تربية الأطفال ومن أهمها الأمر بالعدل وجعله علي قمة الفضائل «أن الله يأمر بالعدل والإحسان»﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾أنه لا يجب الطاعين، وتناولنا فضيلة الصدق، لكي يتمسك المعلم بها،لأنه قدوة للأطفال لقولة تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ سورة التوبة آية رقم١١٩، ويجب علي المعلم اجتناب رذيلة النفاق لقوله تعالي: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾(آية ١٤٠ من سورة النساء).

ونتحدث في هذا الفصل عن أهم الوسائل والأماكن التعليمية وهي الكتاتيب، وعن طريقها يستطيع المعلم أن ينشر الفضائل والأخلاق الاجتماعية مثل فضيلة التعاون بين الأطفال، وتحقيق مبدأ العدالة والرفق واللين بين الأطفال في معاملتهم لقوله تعالي: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(آل عمران-آية ١٠٤).

وفي غضون الفصل سوف نفسِّر الفضائل التي يتمسك بها المعلُم والرذائل التي يبتعد عنها مثل الكبر والعجب والخيلاء، أي التحذير من الغرور الذي هو من أشد الرذائل مقتاً عند الله لأنه يقف من صاحبة موقف العقبة الكأداة في سبيل كل ارتقاء وتقرب من الله فيقول الله تعالي:﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[سورة الأسراء آية ٣٧] والنهي أيضاً عن رذيلة الرياء والتظاهر بالتقوى أو بالتصدق علي الفقراء لكسب التباهي بذلك الانفاق أو بغيره من الفضائل ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾[سورة النساء آية ٣٨].

ومن أهم مقتضيات الموقف العلمي عند المُعلم هو التمسك بحسن الهيئة وتحدثنا عن شروطها، ويجب علي المعلم الحذر من أصحاب السلطان وخير مثال علي ذلك العز بن عبد السلام سلطان العلماء وبائع الملوك، وتناولنا شروط الحذر من السلطان ومن أهمها التمسك بالإرادة لأن الإرادة هي أم الأخلاق- وهي ما قيل فيه تعظيماً لشأنها:لوحات عبادة غير الله لأختار العقلاء عبادة الإرادة.

يقول ابن سحنون في رسالة "آداب المعلمين" عن عبد الرحمن بن نوفل، عن أبية، عن أنس بن مالك ، قال الرسول ﷺ : إن الله أهلين من الناس، قيل من هم يا رسول الله؟ قال: هم حملة القرآن، هم أهل الله وخاصته"[١].

(١) ابن سحنون- رسالة آداب المعلمين-صـــ٣٥١.

ويقول أيضاً: عن أخلاقيات المعلم الأمانة العلمية والاستمرارية في طلب العلم:" وليزم المعلم الاجتهاد وليفرغ لهم" [١].

ومن أخلاقيات المعلم تعليم القراءة الحسنة حيث يقول: " ويلزم أن يعلمهم ما علم من القراءة الحسنة وهو مقرأ نافع، ولا بأس إن أقرأهم لغيره إذا لم يكن مستبشعاً"[٢].

ثم بعد ذلك يقول القابسي عن أخلاقيات مهنة المعلم في رسالته أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين: " فالاستقامة هي القيام بما أمر الله به، وفي الذي قدمنا قول الله جل وعز: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٣] سورة الرعد آية: ١٩.

«أخلاقيات مهنه المعلم»

ومما يجدر الإشارة إلية في بداية هذا الفصل وهو«أخلاقيات المعلم» أن نتحدث أولاً عن الركائز الأساسية في تأسيس المُعلم إلا وهي فضيلة العلم لأنها زينة المعلم ورسالته.

أولا: فضل العلم وأهل العلم:

يشير ابن سحنون بسرعة إلي الأسباب الداعية إلي تعلم القرآن وتعليمة: لأجل إزالة الجهل وحفظ الدين، وتحقيق السعادة في الآخرة فالعلم واجب علي كل مسلم ومسلمة ويستند ذلك كله إلي الأحاديث النبوية الشريفة فيقول في رسالته آداب المعلمين: «قال أبو عبد الله محمد بن سحنون حدثني أبي سحنون عن عبد الله بن وهب عن سفيان الثوري، عن علقمه بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»[٤].

(١) المصدر السابق – صـ ٣٥٧.
(٢) المصدر السابق – صـ ٣٥٨.
(٣) رسالة أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين – القابسي – صـ٢٧١
(٤) ابن سحنون– رسالة آداب المعلمين–صـ٧٧.

وعن فضل القرآن وتعلمه وآداب حامله يقول القابسي:«قال أبو الحسن: أما سؤالك أن نبدأ لك بشئ، من فضائل القرآن فكيف من فضل القرآن، معرفتك أن القرآن كلام الله عز وجل: وكلام الله غير مخلوق، ثم ثناء الله علي هذا القرآن في غير موضع منه.قال عز وجل: ﴿اللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[1]»[2].ولقد ركزنا هنا علي فضل القرآن لأنه الأساس في تربية الصبيان.

- الأهداف التربوية عن طريق التمسك بفضيلة العلم:

ولا تتفق المجتمعات الإنسانية في قيمها ومُثلها العُليا وتطَّلعاتها إلا من خلال التمسك بالتراث التربوي العربي الإسلامي، وتسعي كل أمة من الأمم بتناولها النظم التربوية لنقل هذه القيم والمثل والتطلعات إلي المستقبل الباهر والزاهر بنور العلم والأخلاق الحميدة إلي أجيالها وأطفالها لأنهم ذخيرة المستقبل. وهم بناة الوطن، والتمسك بأخلاقيات العمل في تعليم الصبيان أمر ضروري ومهم لأنه يساعد علي التربية السليمة والعلم والتعليم لنشر الدين، ولا شك أن الغرض الاسمي من تربية الصبيان هو تأديب الولد،لذلك ألف في ذلك الإمام الغزالي (رسالة أيها الولد) لكي تجعله قادراً علي وضع نظام يقوم علي التنظير **العلمي الصحيح،وفي أخلاقيات العلم في تعليم الصبيان تجعلهم يحسهم علي الالتزام بالجماعة والتاريخ والإلوهية بحيث يتشكل ركائز أساسية في النسق التربوي.

---

(١) سورة الزمر،آية ٢٣.

(٢) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين-لأبي الحسن القابسي- مخطوط منشور في الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي صـ١٣٢.

(**) التنظير العلمي الصحيح وهو التعرف علي الأبعاد التربوية التي يحملها الحوار والمناظرة، وبيان مضمون قيمة آداب المناظرة، ومعرفة الدور الذي يقوم به الحوار في بناء شخصية الإنسان،لذلك ألف ابن سحنون (آداب المناظرين) وسوف نتحدث عن ذلك في غضون البحث

الوعي الأخلاقي عند الفرد، والإيمان بالقيم والمثل والفضائل الأخلاقية، وإن كلمة«المتعلم» تعني داخل التربويات الفقهية الولد الذي يذهب إلي الكتاب أو الذي يأتيه المؤدب إلي البيت كحال أولاد الخلفاء والحكماء.

فإذا فرغنا من فضل العلم وآدابه شرعنا حينئذ في تفسير سياسة الصبيان:

- فضل العلم وآدابه في سياسة الصبيان:

«من المبادئ المعروفة المتبعة عند المؤلفين في التربية العربية –الإسلامية أن الكاتب يبدأ رسالته بتبيان أهمية العلم.هنا تجمع بعناية كل ما ورد وروي في فضل العلم، ضرورته وأهميته في كسب الدنيا والآخرة»(١).

ويقول زين الدين بن أحمد العاملي عن فضيلة العلم : «فإن كمال الإنسان إنما هو بالعلم الذي يضاهي به ملائكة السماء، ويستحق به رفيع الدرجات في العقبي مع جميل الثناء في الدنيا، ويتفضل مداده علي دماء الشهداء وتضع الملائكة أجنحتها تحت رجليه إذا مشي، ويستغفر له الطير في الهواء، والحيتان في الماء، ويفضل نومه ليله من لياليه علي عباده العابدين سبعين سنه وناهيك بذلك جلاله وعظماً»(٢).

وعن شرف العلم وفضله يقول العاملي أيضاً: «اعلم أن الله سبحانه وتعالي جعل العلم هو السبب الكلي لخلق هذا العالم العلوي والسفلي طراً وكفي بذلك جلالة وفخراً قال الله تعالي في محكم الكتاب تذكرة وتبصره لأولي الألباب ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[سورة الطلاق-آية١٢]».

«وتحدثت دراسات إسلامية جادة عن العلم كمقوم من مقومات الحضارة الإسلامية الإنسانية،كما أبرزت مواكبة الفتوحات الإسلامية بالدعاء إلي الله عن طريق العلم، والتي

(١) الفكر التربوي عند عبد الكريم بن محمد السمعاني- في كتابة آدب الإملاء والاستملاء- تحقيق د. عبد الأمير شمي الدين- الشركة العالمية للكتاب-الطبعة الأولي د.ت صـ٢١.
(٢) الفكر التربوي عند عبد الكريم بن محمد السمعاني- في كتابة آدب الإملاء والاستملاء- صـ٩٣.

كشفت أيضاً أن معظم القادة العسكريين كانوا رجال دعوة وعلم صاغهم الإسلام صياغة معنوية خاصة ليقضوا علي الظلم الاجتماعي والتخلق الحضاري والجهل الذي عم العصور الوسطي آنذاك»[١].

ومن الجدير أن القرآن الكريم إهتم بالخطاب التربوي ومن أهم أهداف **الخطاب التربوي القرآني في تأديب الولد هي ما يلي:-**

«تعميق الحق والالتزام به، وذلك أن الحق مركوز في طينة الوجود البشري وأن الباطل جرثومة دخيلة في تركيبات العالم لقوله تعالي﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[٢]»[٣].

و«يهدف الخطاب التربوي القرآني في تربية الولد إلي خلق الأنموذج الجديد للأمة،إن هذا الأنموذج خلق جديد، في عقيدته وخلقه، وتفكيره وسلوكه وهذا الهدف هو الذي دارت حوله محورية الخطاب القرآني يقول تعالي:﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.﴾[٤]»[٥].

وهناك الأحاديث الكثيرة التي جاءت في السنن والآثار التي:

تبين فضل العلماء في الدنيا والآخرة.حيث يقول الآجري أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود،أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو المصري، أخبرنا بشر بن بكر، عن الأوزعي،عن عبد السلام بن سلمان عن عمر يزيد بن سمرة عن كثير بن قيس،

---

(١) فن التراث التربوي دراسات نفسية تعليمية تراثية أ.نذير حمدان- دار المأمون للتراث دمشق- سوريا- الطبعة الأولي ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.صـ١١.

(٢) سورة الأسراء:آية ١٠٥

(٣) الخطاب التربوي الإسلامي د. محمد الفرحان-الشركة العالمية الكتاب- الطبعة الأولي ١٩٩٩ صـ،٣٢.

(٤) سورة الأنعام الآية رقم: ١٢٢.

(٥) الخطاب التربوي الإسلامي د.محمد الفرحان-مرجع سابق صـ٣٢.

عن أبي الدرداء قال: رسول الله ﷺ:«ولفضل العالم ورثه الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً،إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[١][٢].

ويرشدنا الإمام الغزالي إلي بيان شرف العقل والعلم والتعليم في كتابة ميزان العمل حيث يقول«أن العلم والعمل هما وسيلتنا السعادة، وأن العمل لا يتصور إلا بعلم بكيفية العمل، والذي العلم الذي ليس بعملي، كالعلم بالله وصفاته وملائكته،مقصودا، فقد استفدت منه أن العلم أصول الأصول،فلابد أن نرشدك الآن إلي طريق التعلم والتعليم،ولننبّه أولاً علي شرف هذه الأمور، وندل عليه فنقول أما التعليم فهو أشرف الأعمال»[٣].

والهدف الاسمي من تعليم الصبيان هو معرفة حدود الله «أي تحقيق شرع الله، ومرضاته في كل شؤون الحياة، والعلاقات الزوجية، والعائلية، والاجتماعية كل ذلك جاء في الخطاب القائل ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّه فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾[٤]إنه هدف في غاية الأهمية،فهو يدعو الولد إلي الالتزام بالشرع ومفرداته الخاصة بقواعد السلوك والتعامل»[٥].

ومن خلال الخطاب التربوي للقرآن الكريم حاولت أن أتبين المعالم الرئيسية للتربية والتعليم في الإسلام عبر دراسة المؤسسات التربوية فوجدت أن لها تقاليد عريقة لابدّ من إبرازها إن أردنا فهم روح الحضارة العربية الإسلامية وقواها المحركة.

---

(١) روي أبي داود والترمذي عن أبي الدرداء–رضي الله عنه– قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم(من سلك طريقا ينبغي فيه علماً مهل الله له طريقاً إلي الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضي بما ضع.

(٢) أخلاق العلماء–لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري المتوفي ٣٦٠هـ–قدم وعلق عليه ممدوح حسن محمد– مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة١٩٩٦.صـ١٧.

(٣) ميزان العمل– الإمام الغزالي– مخطوط منشور في كتاب– الفكر التربوي عند الغزالي–د. عبد الأمير– صـ١٨٣

(٤) سورة البقرة–آية رقم ٢٢٩.

(٥) الخطاب التربوي الإسلامي– د. محمد الفرحان– مرجع سابق–صـ٣٣.

والتراث الإسلامي الأصيل يتمثل في أنتشار الكتاتيب وطريقة تعليمهم العريقة بدون أجر،وروي ابن قتيبه أن الضحال بن مزاحم وعبد الله بن الحارث كانا يُعلّمان ولا يأخذون أجراً، وبعضهم كان يأخذ أجراً، ومن هؤلاء من كان يأخذ خبزاً من الصبيان، وقد هجا بعضهم الحجاج: وكان هو وأبوه يوسف معلمين بالطائف[١]*.

واجبات المعلم تجاه المتعلَّم:

ومن أبرز المعالم الرئيسية للتربية والتعليم في الإسلام هي اهتمام كتب التراث الإسلامي بتربية الصبيان وتعلَّمهم القرآن الكريم لأنه البنية الأولي لبناء الإنسان والمعجزة الكبرى لكل عالم ومتعلم، وتتناول معظم كتب التراث التربوي العناية والرعاية لأولادنا منذ الصغر حتى يستطيع تحمل المسؤولية في المستقبل،لذلك يقول الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين«كتاب رياضة النفس»«بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم:اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبي أمانة عند والدية، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نفش ومائل إلي كل ما يمال به إلية فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواة وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزقي رقية القيم عليه والوالي له وقد قال الله عز وجل﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[٢]»[٣].

المصطلحات والمفاهيم التربوية المستخدمة عند المعلم:

وقبل أن أبدأ في كيفية تعليم الصبيان عن طريق المؤسسات التعليمية التربوية لابد أن نوضح المنهج في الخطاب القرآني في تأديب الولد ومعني كلمة المنهج هو الطريق

(١) ضحي الإسلام–د.أحمد أمين– حـ٢–صـ٥١.
(*) وله شعر: أينسي كلُيُب زمان الهزال...وتعليمة سورة الكوثر؟
رغيف له فلكه ما تري....وآخر كالقمر الأزهر.
(٢) سورة التحريم الآية:٦
(٣) إحياء علوم الدين– الإمام الغزالي–دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان١٤٢١–٢٠٠١م هـ٣.صـ٦٥.

الذي يسير عليه الولد في تعليمة وسلوكه ومعاملته مع الآخرين،و«يتكون المنهج القرآني في تربية الولد من مجموعة أنشطة تهدف إلي تأديب الولد وإحداث الترقية له علي الصعيد الروحي والعقلي وعلي صعيد لغته وعواطفه ومشاعره إن من الموجهات القرآنية التي تفيد في تشكيل المنهج التعليمي ومواده وأنشطته الخطاب القرآني القائل ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[1]»[2].

ومن أهم أهداف المنهج القرآني هو: «دوام مراقبة الله تعالي في السر والعلانية والمحافظة علي خوفه في جميع حركاته وثكناته وأقواله وأفعاله، فإنه أمين علي ما أودع من العلوم، وما منح من الحواس والفهوم. قال الله تعالي:﴿ لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3] وقال تعالي: ﴿مَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾[4]»[5].

ومن أهم الركائز الأساسية في بناء المُعلم التمسك بالقرآن والسنة:-

والمنهج القرآني هو النبراس المضئ في طريق العلماء لأنه يجعل العالم«همه في تلاوة كلام الله الفهم عن مولاة، وفي سنن الرسول ﷺ الفقه لئلا يضع ما أمر به، متأدب بالقرآن والسنة، لا ينافس أهل الدنيا في عزها،ولا يجزع من ذلها، يمشي علي الأرض هوناً بالسكينة والوقار، ويشتغل قلبه بالفهم والاعتبار. إن فرغ قلبه عن ذكر الله فمصيبة عند عظمية،وإن أطاع الله-عز وجل- بغير حضور فهم، محسرات،عند مبين يذكر الله مع الذاكرين،ويعتبر بلسان الغافلين،عالم بداء نفسه، ومتهم لها في كل حال، اتسع

---

(١) سورة الفرقان-آية رقم٣٢.

(٢) الخطاب التربوي الإسلامي د.محمد فرحان -مرجع سابق صـ٣٦.

(٣) سورة الأنفال آية ٢٧.

(٤) سورة المائدة آية ٤٤.

(٥) آداب العلماء والمتعلمين-الحسين بن أمير المؤمنين-الدار اليمنية للنشر والتوزيع-الطبعة الأولي ١٤٠٦هـ١٩٨٥م صـ٢٢.

في العلوم،فتراكمت علي قلبه الفهوم، فاستحي من الحي القيوم، وشُغله بالله في جميع سعيه متصل، وعن غيره منفصل»[١].

وهناك الآيات الصادقة التي تبرهن علي المنهج القرآني «فإن قال قائل:فهل لهذا النعت الذي نعت به العلماء،ووصفهم به أصل في القرآن أو السنة،أو أثر عمن تقدم؟ قيل له: نعم وسنذكر منه ما يدل علي ما قلناه إن شاء الله»

قال الله-عز وجل-:﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ،وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ أفلا تري-رحمك الله- كيف وصف العلماء بالبكاء،والخشية، والطاعة، والتذلل فيما بينه وبينهم[٢].

ويشير الإمام الغزالي إلي أهمية العلوم العقلية التي حفزنا الله إلي استخدام العقل لقوله تعالي: {لعلكم تعقلون} {لعلكم تتفكرون} {لعلكم تتذكرون} فيقول وليس يخفي أن العلوم العقلية تدرك بالعقل الذي هو أشرف القوي، وبه يتوصل إلي جنه المأوي، وهو أبلغ نفع وأعمه،وموضوعه الذي يعمل فيه نفوس البشر وهي أفضل موضوع بل أفضل موجود في العالم فإفادة العلم! من وجه:صناعه ومن وجه:عباده لله تعالي. ومن وجه:خلافة لله وهي أجل خلافة،فإن الله تعالي قد فتح علي قلب العالم،العلم الذي هو أخص صفاته،فهو كانحازن لأنفس خزائنه، ثم هو مأذون له في الأنفاق، علي كل محتاج إليه،فأي رتبه أجل من كون العبد واسطة بين ربه وخلقه في تقربهم إلي الله زلفى؟وسياقهم إلي جنه المأوي؟[٣].

(١) أخلاق العلماء-الآجري- مصدر سابق- صـ٦٢،٦٣.
(٢) أخلاق العلماء-الآجري- مصدر سابق- صـ٦٣
(٣) ميزان العمل- الإمام الغزالي- صـ٣٣٠.

التعليم في الصغر كالنقش علي الحجر:

من كل ما تقدم نخلص إلي القول بأهمية الاهتمام بالطفل منذ الصغر وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الإسلامي ابن سينا «وعند ابن سينا تبدأ فترة التأديب واكتساب الأخلاق** الحميدة منذ الفطام أي في نهاية السنة الثانية من العمر، ثم إذا استوي لسانه-أي الطفل- واستكمل حواسه المختلفة أخذ بدراسة القرآن الكريم، ثم تلا ذلك مسائل الدين ثم الأدب والشعر»(١).

ويؤكد ابن سينا علي دراسة وحفظ القرآن الكريم عند الطفل نظراً لإعتماد القرآن علي القيم التربوية الأصلية مثل تهذيب السلوك، والعلم المفيد، والرقي وتناول القرآن الكريم المنهج التربوي السليم ومن: «هدف المنهج الدراسي القرآني إلي تركيز مبدأ الهداية وتنمية الأخلاق القويمة في شخص الولد.إن تركيز مبدأ الهدايه في الذات وحملها علي الأخلاق جاء في الخطاب القرآني: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢)إن ما حمله هذا الخطاب من دلالات تربوية هي تربية الولد وتعويده علي الحياة المستقيمة والأخلاق القومية»(٣).

التمسك بالأخلاق الكريمة من واجبات المُعلم:

ومبدأ الهداية إلي والمنهج التربوي لا يتم إلا من خلال شروط تربوية وهي«قال محمد بن الحسين:لهذا العالم صفات،وأحوال شئ، ومقامات لابد له من استعمالها،فهو مستعمل في كل حال ما يجب عليه،فله صفة في طلب للعلم كيف يطلبه،وله صفه في كثرة العلم إذا كثر عنده ما الذي يجب عليه فيه فيلزمه نفسه وله صفه إذا تعلم من العلماء كيف

(**) الأخلاق: الخلق عبارة عن هئية للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة غير حاجة إلي فكر وروية.فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلفا حسناً[التعريفات- الجرجاني-صـ١٠٥].

(١) التراث التربوي في خمس مخطوطات د.هشام نشابة- دار العلم للملايين بيروت-لبنان -الطبعة الأولي ١٩٨٨م. صـ١٩.

(٢) سورة الإسراء آية:٩.

(٣) الخطاب التربوي الإسلامي د. محمد الفرحان- مرجع سابق صـ٣٦.

يتعلم، وله صفه كيف يعلم غيره،وله صفه كيف يجالس الأمراء إذا ابتلي بمجالستهم، ومن يستحق أن يجالسه ومن لا يستحق، وله صفه عن معاشرته لسائر الناس فمن لا علم منه، وله صفه كيف يعبد الله-عز وجل- فيما بينه وبينه، قد أعد لكل حق يلزمه ما يقويه علي القيام به، وقد أعد لكل نازله ما يسلم به من شرها في دينه،عالم بما يجتلب به الطاعات،عالم بما يدفع به البليات، قد اعتقد الأخلاق السنية واعتزل الأخلاق الدنية»[1].

من خلال الفقرات السابقة يتبين لنا أن الأخلاق العظيمة هي الطريق إلي العلم،أما الأخلاق الرديئة فعلي العكس من ذلك فيقول الإمام الغزالي «فإن قلت: فكم طالب ردئ الأخلاق حصل العلوم؟فما أبعدك عن فهم العلم الحقيقي الديني الجالب للسعادة!!فما يحصله صاحب الأخلاق الرديئة،حديث ينظمه بلسانه مرة، وبقلبه أخري، وكلام يردده، ولو ظهر نور العلم علي قلبه، لحسنت أخلاقة،فإن أقل درجات العلم أن يعرف أن المعاصي سموم مهلكة مبطلة للحياة الأبدية،فإن منشأها الصفات الردية، وهل رأيت من عرف السم فتناوله؟ ولهذا قال عليه السلام:[من ازداد علما**، ولم يزد هدي،لم يزدد من الله إلا بعداً]ولهذا قال بعض المحققين، معني قولهم:[تعلمنا العلم لغير الله،فأبي العلم أن يكون إلا لله]»[2].

الأهداف التربوية التي ينبغي أن يسعي إليها المُعلم:

ويجب هنا أن نتذكر ما سلف من قولنا من فضل العلم*، وأهميته، والخطاب التربوي في القرآن الكريم، وكيفية اختيار سن الطفل لحفظ القرآن الكريم نظراً لتوجيهاته

---

(١) أخلاق العلماء- الأجري -مصدر سابق -صـ٤٩،٥٠.

(**) العلم زين وتشريف لصاحبه....والجهل والنول مقرونات في قرن
وإذا طلبت العلم فالعلم أنه....حمل فأبصر أي شئ تحملُ
وإذا علمت بأنه متفاضل... فأشتغل فؤادك بالذي هو أفضل

(٢) ميزان العمل -الأمام الغزالي- مصدر سابق-صـ٣٤٢،٣٤٣.

(*) تعلم فليس المرء يُخلق عالماً.....وما عالمٌ أمراً كمن هو جاهلُ
ولم أزخره عاطال إلا بامثله.....ولم أر بدء العلم إلا تعلما
العلم يحيي قلوب الميتين كما.....تحيا البلاد إذا ما مَسَّها المطر
والعلم يجلو ممن قلب صاحبة....كما يجلي سواد الظّلْمه القمر

التربوية الحكيمة التي تجعل الطفل له شأن عظيم في مجتمعه وبين أقرانه وعلاقاته الاجتماعية.

فحقيق بنا أن نتكلم عن المؤسسات التعليمية والتربوية التي يتعلم الأطفال فيها«لقد عرض التراث للمؤسسات التعليمية جميعاً بدءاً من الكتاتيب ومروراً بالمدارس الابتدائية والثانوية،ونهاية بالدراسات الجامعية والعالية»(١).

ومن الجدير أن المؤسسات السالفة الذكر هي التي أقام الرسول أسسها الفكرية ومنطلقاتهم النظرية، وأسس مفاهيمها في مجتمع الصحابة وأبنائهم وقد أخذت في التطور التنظيمي السريع نظراً لمتطلبات العصر.

واجبات المعلم في مجالسة العلماء وآداب المناظرة:

وقبل أن نتناول المؤسسات التربوية مثل الكتاتيب والمدارس بوجه عام،وجب علينا أن نتحدث عن شروط العلم وكيفية تناول العلم في هذه المؤسسات فنقول في ذكر صفته في مشية العلماء «يمشي برفق، وحلم ووقار،وأدب مكتب في مشية كل خير تاره يحدث نفسه بنعم الله،عز وجل عليه،ويقتض منها الشكر ويستعيذ بالله من شر سمعه، وبصره، ولسانه، ونفسه، وشيطانه، فإن بلي بمصاحبة الناس في طريقة،لم يصاحب إلا من يعود عليه نفعه»

قد أقام الأصحاب مقام ثلاثة:إما رجل يتعلم منه خيراً،إن كان أعلم منه، أو رجل هو مثله في العلم فيذاكره العلم الثلاثيني ما لا ينبغي أن ينساه، أو رجل هو أعلم منه فيعلمه ما يريد الله- عز وجل-بتعليمه إياه،لا يمل من أصحابه لكثرة صحبه، بل يجب ذلك لما يعود عليه من بركته(٢).

وقال بعض الحكماء: اقصد من أصناف العلم إلي ما هو أشهي لنفسك،وأخف علي قلبك[العقد الفريد-ابن عبد ربه- حـ٢،صـ٢١١.

(١) فن التراث التربوي أ.نذير حمدان- مرجع سابق-صـ٩.

(٢) أخلاق العلماء-الأجري-صـ٥٠

وهناك مميزات وصفات في صفه مجالسته للعلماء في المؤسسات التربوية ومنها«فإذا أحب مجالسة العلماء،جالسهم بأدب،وتواضع في نفسه،وخفض صوته عند صوتهم، وسألهم بخضوع، ويكون أكبر سؤاله:أني قد أفت خيراً كثيراً، ثم شكرهم علي ذلك،وإن غضبوا عليه لم يغضب عليهم، ونظر إلي السبب الذي من جله غضبوا عليه،فرجع عنه واعتذر إليهم،لا يضجرهم في السؤال رفيق في جميع أموره،لا يناظرهم مناظرة من يرثهم:أني أعلم منكم وإنما همته البحث لطلب الفائدة منهم،مع حسن التلطف لهم، لا يجادل العلماء، ولا يماري السفهاء، يحسن الثاني للعلماء مع توقيره لهم حتى يتعلم ما يزداد به عند الله فهمنا في دينه»[1].

وعن شروط المناظرة العلمية قالوا في تحامل الجاهل علي العالم: «لا تُناظر جاهلاً.وقالوا:لا تناظر جاهلاً ولا لجوجاً،فإنه يجعل المُناظرة ذريعة إلي التعلّم بغير شُكر،وقال النبي ﷺ:ارحموا عزيزاً قوماً ذلْ،ارحموا غنيًّا افتقر،ارحموا عالماً ضاع بين جُهَّال»[2].

وبعد ذلك نتحدث عن الأماكن التعليمية التي يقوم المعلم باستخدامها وهي:-

الكتاتيب:-

الكتاتيب جمع كتّاب، المكان البسيط الأول للتربية والتعليم الذي تتبلور فيه المرحلة الأولي من التعليم الابتدائي وربما شملت المرحلة كلها بتدريس المواد الأولية والأساسية وما من طفل إلا وقدر مر علي واحد أو أكثر منها فيما عدا أطفال الساسة والقادة وبعض الأغنياء[3] ومن الجدير أن كلمة «المتعلّم تعني داخل التربويات الفقهية الولد الذي يذهب

(١) المصدر السابق-صـ٥١،٥٢.

(٢) العقد الفريد-ابن عبد ربه-كتاب الياقوته في العلم والأدب حـ٢صـ٢٢٣.

المناظرة العلمية وهي فن الحوار،والحوار:اصله من الحَوْر (بفتح الحاء وسكون الواو)وهو الرجوع عن الشئ، إلي الشئ،فالحوار في اللغة:هو الرجوع والمحادبة،وتهتم المناظرة بالحدث والأفعال ولا تخلو المناظرة من الجانب الأخلاقي والديني والاجتماعي

(٣) فن التراث التربوي أ.نذير حمدان- مرجع سابق صـ١١.

إلي الكتَّاب أو الذي يأتيه المؤدب إلي البيت كحال أولاد الخلفاء والحكام،والتعلم كلمة نطلقها علي كل إنسان راغب في اكتساب العلم الديني»[١] والكتاتيب قديمة وقد أكثر التراث من ذكر الكتاب والكتاتيب وكلها تؤكد أنها أمكنه التعليم لأبناء المسلمين لذلك يقول القابسي عن تعليم الكتَّاب«فينبغي له أن يجعل لهم وقتاً من النهار يعلمهم في الكتاب»[٢].

ونظراً لأهمية الكتَّاب في تعليم القرآن يؤكد القابسي عليه فيقول«وأما سؤالك عن صبي أدخله أبوه الكتَّاب بغير شرط،هل يلزمه ما يلزم صبيان الكتاب؟»[٣].

الوسائل التعليمية المستخدمة في الكتاب:-

يستخدم في الكتَّاب وسائل تعليمية مثل الألواح وهذا ما يشير إليه ابن سحنون حيث يقول(من ألوحهم)[٤] وهنا يضعنا ابن سحنون أمام تساؤل عن كيفية استخدام الألواح وما هي طريقة مسح الألواح الشرعية؟ وهل يجوز مسح الألواح بالرجل أم؟ ما هو موقف الشرع من ذلك؟

يجيب عن كل هذه التساؤل ابن كنون من خلال ما يكره محوه من ذكر الله تعالي وما ينبغي أن يفعل من ذلك حيث يقول«حدثني محمد بن عبد الرحمن،عن عبد الله بن مسعود، عن زيد بن ربيع،عن بشر بن حكيم، عن سعد بن هارون عن أنس بن مالك قال

---

(١) الخطاب التربوي الإسلامي د.محمد الفرحان- مرجع سابق صـ٥٤.

(٢) الرسالة المفصله لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين -القابسي مخطوط منشور في كتاب الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي د.عبد الأمير شمس الدين-الشركة العالمية للكتاب-الطبعة الأولي ١٩٩٥م.صـ١٦٥

(٣) المصدر السابق-صـ١٨٩.

كان اللوح المخصص للكتابة موجودا في وقت مبكراً جداً فلقد روي عن أم الدرداء أنها كتبت علي لوح من هذا النوع عبارات في الحكمة ليقلدها تلميذ كانت تعلمه الكتابة والقراءة(التربية الإسلامية- د.أحمد شلبي- صـ٤٩.

(٤) آداب المعلمين-ابن سحنون-صـ٧٩.

إذا محت صبية الكتاب (تنزيل من رب العالمين) من ألواحهم بأرجلهم، بنذ المعلم إسلامه خلف ظهره،ثم لم يبال حيث يلقي الله علي ما يلقاه عليه»[١].

من النص السابق يتبين لنا أن مسح الألواح بأرجلهم لا يجوز وهذا مخالف للشـــرع، لأن هذه الكتابة هي كلام الله سبحانه وتعالي.

ثم يستشهد ابن سحنون بطريقة الأئمة الأربعـــة(الخلفاء الراشـــدون)فيقول«قيـــل لأنس:كيف كان المؤدبون علي عهد الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالي عنهم؟قال أنس: كان المؤدب له أحانة، ولكل صبي يأتي كل يوم بنويتـــه مـــاء طـــاهراً فيصبونه فيها،فيمحون به ألواحهم،فقال أنس: ثم يحفرون حفره في الأرض،فيصبون ذلـــك الماء فيها فينشف»[٢].

أما عن إنتشارها ومكان وجودها فيقول د.أحمد فؤاد والأهواني في كتابة التربيـــة الإسلامية«وق انتشرت الكتاتيب في المدن والقرى المختلفة قرب المساجد أو بعيداً عنها، ولكنها في كل الأحوال ليست داخل المساجد حفاظاً عليها من عبث هـــؤلاء الأطفـــال أو إهمالهم،إذ يقوم المعُلم باستئجار الكتاب للعمل فيه وحده،أو معه معلم آخر إذا كـــان عـــدد الصبيان كبيراً»[٣].

وبالرغم من انتشار الكتاتيب إلا أن ابن سحنون الفقيه حدد لها وقفاً معلوماً لتعلـــيم الصبيان فيها،وهذه من واجبات المعلم حيث يقول«وليجعل الكتَّاب من الضحى إلي وقـــت الانقلاب،ولا بأس أن يجعلهم يمُلي بعضهم علي بعض، لأن ذلك منفعة لهم»[٤].

ولعل هذه الكتاتيب مكان للتهذيب والحبس والضرب فيقول أبو نواس:

عندها صاح حبيبي　　يا معلم لا أعود
قُلَتُ يا حفص اعف عْنهُ　　إنه سوف يُجيدُ[١]

(١) المصدر السابق–نفس الصفحة.
(٢) المصدر السابق–نفس الصفحة.
(٣) التربية في الإسلام د. أحمد فؤاد الأهواني صـــ٥٢ نقلاً من كتاب أخلاقيات المهنة في الحضارة الإسلامية– د.موقف سالم نوري – دار ابن كثير –الطبعة الأولي ١٤٣٠هـــ، ٢٠٠٩م صـــ١٩٦.
(٤) التربية الإسلامية د. أحمد شلبي صـــ ٤٨.

فيما سلف ذكره يتضح لنا أن الكتَّاب من المدارس الأولية لتحفيظ القرآن الكـريم فيقول د/أحمد شلبي «وكان منهاج المدرسة الأولية (الكتَّاب) يذكر في القرآن الذي كـان يقوم مقام كِتَاب للمطالعة ليتعلم التلاميذ القراءة ثم يختارون منه مـا يكتبـون ليتعلمـوا الكتابة،ومع القراءة والكتابة كان التلاميذ يتعلمون قواعد اللغة العربية وقصص الأنبيـاء وبخاصة أحاديث الرسول»(٢).

ويتناول التعليم أيضاً في الكتَّاب القراءة والكتابة والقرآن واللُّغة«وكان ذلـك فـي العصر الأموي بالضرورة، وبعض المكاتب كان ليتعلم مبادئ القراءة والكتابه والقـرآن، وبعضها كان يعلّم فيه أيضاً اللغة وما إليها. قال ابن قتيبه: ومن المعلمين علقمة بن أبـي علقمة مولي عائشة،كان يروي عنه مالك بن أنس، وكان له مكتب يعلّم فيه العربية والنحو والعروض، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور،وبعض المعلمين كانوا يعلمون حِسْبَةً،لا يأخذون علي تعليمهم أجراً»(٣).

ومن أهم الطرق التربوية المتبعة في الكتَّاب«طريقة الثواب والعقاب»حيـث أنـه يستخدم الضرب والحبس وقد صوَّر أبو نواس فيه تصويراً لطيفاً كعادته فقال:

إنني أبصرت شخصاً	قد بدا منه صُدود
جالساً فوق مُصلَّي	وحواليه عَبيدُ
فرَمَي بالطرق نحوي	وهو بالطرق يصيدُ
ذاك في مكتب حَفْصٍ	إن حفصاً لسعيدُ
قال حفْصُ اجلدوُهُ	إنه عندي بَليدُ
لم يزل مُذ كان في الدَّرْ	س عن الدْرس يحيد
كشف عنه خزوزُ	وعن الخزِّ برود(٤)

(١) ضحي الإسلام-د. أحمد أمين-حـ٢-صـ٥٢.

(٢) التربية الإسلامية نظمها -فلسفتها -تاريخها .د.أحمد شلبي صـ٤٦.

(٣) ضحي الإسلام د.أحمد أمين مطبعة لجنه التأليف والترجمـة والنشـر-الطبعـة الثانيـة الجـزء الثـاني-١٣٥٧هـ-١٩٣٨.صـ٥٠.

(٤) المرجع السابق-صـ٥١.* أما عن المكان الذي كان يوجد به الكتَّاب من هذه النوع،فقد وردت توصـيات كثيرة بألا يكون في المسجد، ومن ذلك ما قاله الإمام مالك حينما سئل عن ذلـك لا أري ذلـك يجـوز لأن الأفعال لا يحتفظون من النجاسة[التربية الإسلامية-د.أحمد شلبي-صـ٥٣]

الآراء التربوية عند ابن سحنون والتي يقوم المُعلم بتطبيقها:-

مبادئ التربية في الإفادات الفقهية فما هي؟

«السؤال المرفوع هنا: ما هي المبادئ التي تقدمها دائرة الفقهيات في تربية الولد؟ إنها تقدم مبادئ عدة منها ما تشكل إضاءات عقيدية، ومنها ما تكون قواعد للسلوك والتعامل.فمن الإضاءات العقيدية التي تحكم تفكير الولد فكرة الإيمان بوحدة الدارين:الدنيا والآخرة»[1].

- تعلم الصبيان الأدب:

وعلي أساس هذه الفكرة صاغ ابن سحنون في رسالته آداب المعلمين أي علي المعلم أن يعلَّم الصبيان فيقول «وليعلمهم الأدب فإنه من الواجب عليه النصيحة وحفظهم ورعايتهم»[2].

- تعلم الصبيان الصلاة: [الفقه]

وهكذا تنبثق الحاجة إلي الشريعة والمبادئ الفقيهة لتعلمها للصبيان حيث يقول ابن سحنون: «وينبغي أن يعلمهم سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر والوتر وصلاة العيدين والاستسقاء والخسوف حتى يعلمهم دينهم الذي تعبد الله به وسنه رسوله ﷺ»[3].

---

(١) مبادئ التربية الفقهية عند ابن سحنون تعبر عن بنية المنهجية الإسلامية والتي تشمل التراث والوحي وهناك ضوابط للتعامل مع التراث مثل الإلتزام بقدر كبير من الورع والإخلاص لله تعالي،وتحري الأمانة الموضوعية في التعامل مع النصوص التراثية خاصة نصوص الوحي، وعمق الوعي الحضاري ويشمل الفهم والتمحيص لمستجدات العصر لمعرفة موقعها من ضوابط العقيدة(في هوية التربية الإسلامية د. مصطفي رجب صـ٢٢)

(٢) آداب المعلمين-ابن سحنون مخطوط منشور في كتاب الفكر التربوي عند ابن سحنون -مصدر سابق صـ٨٤

(٣) المصدر السابق-صـ٨٦.

مبادئ التربية الفقهية عند ابن سحنون تعبر عن بنية المنهجية الإسلامية والتي تشمل التراث والوحي وهناك ضوابط للتعامل مع التراث مثل الالتزام بقدر كبير من الورع والإخلاص لله تعالي، وتحري الأمانة الموضوعية في التعامل مع نصوص التراثية خاصة نصوص الوحي وعمق الوعي الحضاري ويشمل الفهم والتمحيص لمستجدات العصر لمعرفة من ضوابط العقيدة(في هوية التربية الإسلامية د.مصطفي رجب صـ٢٢).

يجب تمسك المعلم بالأحكام الفقهية:

وإذا كان ابن سحنون يؤكد علي تعليم المبادئ الفقهية والأحكام الشرعية في سنن الصلاة،ونأخذ ونتعلم ذلك من نبراس العلماء والفقهاء لذلك نجد أن السنن والآثار تنبهنا إلي فضل الفقيه وأهمية علمه، فلقد «أخبرنا أبو بكر، أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن يدينا الدقاق،أخبرنا هرون بن عبد الله المزار،أخبرنا يزيد بن هرون ،أنيأنا زيد بن عياض،عن صفوان بن سليم،عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما عُبِدَ الله بشئ أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحُدُ أشدُّ علي الشيطان من ألف عابد ولكُلُ شئ شئ عمادُ،وعماد الدين الفقه» *»[1]

و«أخبرنا أبو بكر،أخبرنا أبو بكر أبي داود،أخبرنا عمرو بم عثمان،أخبرنا الوليد بن مسلم،عن روح بن جناح،عن مجاهد،عن أبي عباس،عن النبي ﷺ قال: فقيه واحُدُ أشدُّ علي إبليس من ألف عابد»[2]

ومن واجبات الفقيه أن يبتعد عن الغرائب والشبهات لذلك قالوا:من طلب ثلاثة لم يسلم من ثلاثة:من طلب المال بالكيمياء لم يسلم من الإفلاس، ومن طلب الدين بالفلسفة لم يسلم من الزندقه،ومن طلب الفقه بغرائب الحديث لم يسلم من الكذب[3].

والأحكام الفقهية تساعد علي ما يلي:-

١- يؤكد ابن سحنون علي تمسك المعُلم بالأحكام الفقهية حتى يستطيع توضيح الخصائص المميزة لدراسة المنهج التربوي المختص بالألهيات.

٢- توضيح الضوابط والأسس التربوية، والكشف عن أهم المبادئ والتوجيهات التربوية،من خلال تدريس مقر طرق التدريس.

---

* الخطيب الفقيه والمتفقه حـ،٢صـ٧

(١) أخلاق العلماء-الأجري -مصدر سابق-صـ٣٦

(٢) المصدر السابق- نفس الصفحة

(٣) العقد الفريد-ابن عبد ربه-كتاب الياقوته في العلم والأدب حـ٢صـ٢٥٧.

٣-يتناول المعُلم مفهوم التربية كفكر أصل ونظرية جديدة تحـــدد غايـــة الإنســـان، والتعمق في فهم الطبيعة الإنسانية، وتنمية مهارات وقدرات الأطفال،وإعدادهم لعلاقات** اجتماعية ناجحة وتعريفهم بحقوقهم.

تعلم الصبيان قواعد السلوك مثل آداب الأكل:

ويتضح لنا مما سبق حرص الإمام الغزالي علي تعليم الصبي قواعد السلوك مثـــل آداب الأكل حيث يقول«غسل اليدين قبل الطعام وبعده، والتسمية والأكل باليمين ومما يليه ويصغر اللقمه، وإجادة المضغ،وقله النظر إلي وجوه الحاضرين،ولا يأكل متكئاً، ولا يأكل فوق الشبع وفوق الجوع، ويعتذر إذا شبع حتى لا يخجل الضيف أو من به حاجـــة.ويأكل من جوانب القصعة ولا يأكل ليلا ينقص علي الحاضرين»[١].

تعليم الصبي القرآن الكريم:

وعن تلك الشرائط أشرنا إليها آنفاً يؤكد ابن حجر الهيثمي في كتابه تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدب الأطفال، فيؤكد في المقصد الأول علـــي الأحاديـــث الدالة علي شرف أهل القرآن فيقول«أخرج الديلمي أنه ﷺ قال: «إذا ختم العبد القرآن صلي عليه عند الختمة ستون ألف ملك»[٢] ويقول أيضاً «أخـــرج البيهقـــي أنـــه ﷺ قال:أفضل عباده أمتي تلاوة القرآن» وفي رواية لابن قـــانع: «أفضـــل العبـــادة قـــراءة القرآن»»[٣].

** العلاقات الاجتماعية:- وهي التي تعبر عن البناء الاجتماعي التي تتكون من مجموعة من الأنساق المترابطة والمتفاعلة فيما بينها داخل هذا البناء وهو بمثابة نظم لبناء المجتمع واستمراره

(١) رسالة الأدب في الدين- الإمام الغزالي- مخطوط منشور ضمن كتاب الفكر التربوي عند الغزالي د. عبد الأمير شمس الدين-صـــ٢٤٤.

(٢) تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها منشور ضمن كتاب التراث التربوي الإسلامي في خمس مخطوطات-صـــ٢٢٢

(٣) المصدر -السابق- صـــ٢٢٣.

شروط تعليم القرآن الكريم:

وعن تعليم القرآن وأهميته يقول الشيزري« وأول ما ينبغي للمؤدب أن يعلّم الصبي السُّور القصار من القرآن، بعد حذفه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل، ويُدرِّجه بذلك حتى يألفه طبعه ثم يُعرِّفه عقائد أهل الشُّفعة والجماعة، ثم أصول الحساب، وما يستحسن من المراسلات والأشعار دون سخيفها ومسترذلها، وفي الرواح يأمرهم[المؤدب] بتجويد علي المثال، ويكلفهم عرض[ما] أملاه عليهم حفظاً غائباً لا نظراً. ومن كان عمره فوق سبع سنين أمره[المؤدب] بالصلاة في جماعة لأن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «علموا صبيانكم الصلاة [السبع] واضربوهم علي تركها لعشر»ويأمرهم [المؤدب] بير الوالدين، والأنقياد لأمرها بالسمع والطاعة،والسلام عليهما وتقبيل أيديهما عند الدخول إليهما»(١).

وقال أبو الحسن، والماهر بالقرآن يؤمر بترتيله.قال الله عز وجل: «يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا...إلي قوله: ورتل القرآن ترتيلا»

والقرآن الكريم أساس اللغة العربية، لذلك جعل ابن سحنون تعليم القراءة والخط الحسن **والشكل والهجاء من العلوم الإجبارية**، ومن واجبات المربي (المعلم) تعليم اللغُّة العربية«إن المربي الذي يحارب تعليم الجيل بلغته العربية إنما يقترف بحق طلابه جرماً كبيراً يفصل عقولهم عن التفكير باللغة العربية الأمُّ، ويسهم في تغريب العلوم بدل تّعريبها أن المربي الذي لا يحرص علي تنمية الثقافة الأساسية العامة في نفوس طلابه، من عقيدة ولغة وتاريخ،إنما يسهم في تحلّل شخصياتهم ومسخها،بدلاً من تنميتها وصيانتها»(٢).

يتبين لنا من النص السابق واجبات المعلم تجاه تعليم اللغة العربية، وعدم التقصير فيها، ويجب عليه تعليم الخط«قال إبراهيم بن عباس لغلام بين يديه يعلمه الخط: ليكن

(١) نهاية الرتبة في طلب الحسبة عبد الرحمن نصير الشيزري-تحقيق د/السيد الباز العريني صـ١٠٣

(٢) أزمة التربية في الوطن العربي- د.أسحاق أحمد فرحات صـ١٧.

قلمك صُلبا بين الدقة والغلط ولا تبره عند عقده فإن فيه تعقيد الأمـــور،ولا تكتـــب بقلـــم ملتوي، ولا ذي شق غير مستوي،وإن أعوزك البحري والفارسي واضطررت إلي الأقلام النبطية فاختر منها ما يميل إلي السُّمرة»[١].

الرذائل التي يبتعد عنها المُعلِّم:-

ولعل من المفيد الإشارة إلي أن النصوص السابقة التي تحمل تحديداً لنوعية العلاقة بين المُعلم والمتَّعلمين، وهي بتقديرنا مسألة في غاية الأهمية واليوم ما أحوجنا إليها لكـــي يتم التقدم والتطور في العملية التعليمية، لذلك يشير القرآن الكريم إلي آيات كثيرة تشـــجع المُعلم علي نفي الكبر والعجب والخيلاء قال تعالي: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[٢]وقوله تعالي﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٣] وقال تعـــالي ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[٤]﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾[٥]﴿نَّ الَّـــذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٦][٧].

وهناك أحاديث تشير إلي البعد عن العجب«وأخرج الشيخان:بينما رجل يمشي في حله تعجبه نفسه رجل–أي ممشط–رأسه مختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجـــل في الأرض إلي يوم القيامة» وقال تعالي : (الكبرياء ردائي والعز إزاري من نازعني في شئ منهما عذبته)[*] وفي الطرابي (لو كان العجب رجلاً لكان رجل سوء)[**][٨].

---

(١) صبح الأعشافي ضاعه الإنشا– القلقشندي –حـــ١،صـــ٤٧٩،٤٨٠.
(٢) سورة الأعراف: آية ١٤٦.
(٣) سورة إبراهيم :آية ١٥
(٤) سورة غافر:آية ٣٥
(٥) سورة النحل: آية٢٣
(٦) سورة غافر آية ٦٠
(٧) الزداجر عن اقتراف الكبائر–الأمام ابن حجر المكي الهيثمي–تحقيق محمد محمود عبد العزيز وآخرون– طـــــ١ دار الحديث القاهرة–د.ت ط١٤٢٣هـــ–٢٠٠٢م.صـــ١٢٠
(*) أخرجة أحمد٢/٢٤٨ وأبو داود ٤/٤٠٩٠ وقال الألباني صحيح من حديث أبي هريرة
(**) تذكره الألباني في ضعيف الجامع(٤٨٣٦) من حديث عائشة وقال: ضعيف جدا
(٨) المصدر السابق– نفس الصفحة

ويتناول ابن سحنون رذيلة الظلم وعدم المساواة بين المتعلمين فيقول: " عن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: أيما مؤدب ولي ثلاثة صبيه من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية، فقيرهم مع غنيهم مع فقيرهم، حشر يوم القيامة مع الخائنين"(١).

من النص السابق يتضح لنا أن ابن سحنون يبين لنا رذيلة الخيانة عند المعلم، أما عن الظلم فيقول: " عن موسي عن فضيل بن عياض، عن ليث، عن الحسن قال: إذا قوطع المعلم علي الأجرة فلم يعدل بينهم ، يعني الصبيان- كتب من الظلمة"(٢).

ويتناول بعد ذلك القابسي بعض الرذائل فيقول: " وقال عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأنعام آية: ١٢٥" (٣).

ابتعاد النفس الإنسانية عن العُجب:

ولا يمكن العجب والسوء في طلب العلم إلا من خلال طهارة النفس ولذلك يقول الإمام الغزالي«أما المتعلم فوظائفة كثيرة:الوظيفة الأولي أن يقّدم طهارة النفس عن ردئ الأخلاق فكما لا تصح عبادة الجوارح في الصلاة إلا بطهارة الجوارح».

والعلم عبادة النفس، وفي لسان الشرع عبادة القلب، فلا يصح إلا بطهارة القلب خبائث الأخلاق،وأنجاس الصفات:

قال عليه السلام: «بُني الدين علي النظافة» وهو كذلك باطناُ،كما أنه كذلك ظاهراً. وقال تعالي:[إنما المشركون نجسُ](٤).

والعجب من علامات الجاهل وقالوا ما جاء في ذم الحمق والجهل قال النبي ﷺ:«الجاهلُ يظلم من خالطه،ويعتدي علي من هو دونه، ويتطاول من هو فوقه، ويتكلم بغير تمييز، وإن رأي كريمة أعرض عنها».

(١) آداب المعلمين – ابن سحنون – صـ ٣٥٣.
(٢) المصدر السابق- نفس الصفحة
(٣) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين – صـ٢٦٨.
(٤) ميزان العمل-الإمام الغزالي-صـ٣٤١،٣٤٢.

وقال أبو الدرداء:علامة الجاهل ثلاث: العُجُب،وكثرة المنطق، وأن ينهي عن شئ ويأتيه.وكان يُقال:لا تغررك من الجاهل قرابة،ولا أخوة ولا إلف،فإن أحقَّ الناس بتحريق النَّار أقربُهم منها(١).

وقيل:لا تصطحب الجاهل فإنه يريد أن ينفعك فيضُرّك.

ولبعضهم: لكلّ داء دواء يستطيب به إلا الحماقة أعينيت من دُاويها

ولأبي العتاهه: أحذر الأحمق أن تصحبه إنما الأحمق كالثوب الخَلَقْ

كلما رقعته من جانب زعزعته الريح يوماً فانحرق(٢)

إذن من شروط النسق التربوي ترك العُجب والتكبر، ويجب علي المعُلم الابتعاد عنهم لكي يتأسس المُعلم علي فهم جديد للطبيعة الإنسانية يتناسب مع المناهج التربوية وقيام علم النفس علمي لنشوء علوم اجتماعية خلقية جديدة، ومناهج دراسية متميزة.

التمسك بفضيلة التواضع:

والذي يبتعد عن العُجْب والكبر** هو المعلم العاقل الذي يستخدم المنهج العلمي الصحيح في نشر الفضائل التربوية لذلك يقول ابن حبان البستي في ذكر الحث علي لزوم التواضع ومجانية الكبر«قال ابو حاتم الواجب علي العاقل لزوم التواضع ومجانية الكبر ولو لم يكن في التواضع خصله تحمدُ إلا أن المرء كلما تواضعه إزداد بذلك رفعه لكان الواجب علية إلا يتزيأ بغيره»(٣) وقال النبي ﷺ: يقول الله تبارك وتعالي: العظمة إزاري والكبرياء ردائي،فمن نازعني واحداً منهما قصمتُه وأهنته.

(١) العقد الفريد– ابن عبد ربه–كتاب الياقوته في طلب العلم والأدب حـ٢ صـ٣٥٧

(٢) المصدر السابق– نفس الصفحة

(**) قال عليه السلام:لا يدخل القدس متكبرّ،وقال بعض الحكماء يستقر الكبر فيمن خلق من تراب،وطُوي علي القذر،وجري مجري البول،وقال الحسن.عجبا لابن آدام كيف يتكبر وفيه تسع سموم كلها يؤذي

(٣) مختصر روضة العقلاء ونزهه الفضلاء لابن حبان البستي–حققه أسعد سالم مصدر سابق–صـ٥١.

وهناك أدوية للعجب بمعني أن العجب مرض يصيب المُعلم ويجعله مغروراً بنفسه بعيداً **عن بحور العلم لذلك يقول ابن جماعه:** «ومن أدوية العُجب يذكر أن علمه وفهمه وجوده ذهنه وفصاحته وغير ذلك من النعم،وفضل من الله عليه وأمانه عنده ليرعاها حق رعايتها، وأن معطيه إيَّاها قادر علي سلبها منه في طرفه عين كما سلب بلعام ما علمه في طرفه عين.وما ذلك علي الله بعزيز(أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ)»[1]

الطرق العلمية الصحيحة في نشر العلم:

وفي غضون هذا البحث سوف نتناول أخلاق المعلم عند ابن سحنون والقابسي وكذلك المعلم المغرور الذي لا يعلم بعلمه ولا ينفعه الله بعلمه حيث«قال محمد بن الحسين قد تقدمت الأخبار عن النبي ﷺ وعن صحابته رضي الله عنهم وعن أئمة المسلمين- رحمهم الله-بصفة علماء في الظاهر، لم ينفعهم الله بعلم، ممن طلبه للفخر، والرياء، والجدل،والمراء، وتأكل به الأغنياء وجالس به الملوك، وأبناء الملوك لينال به الدنيا فهو ينسب لنفسه إلي أنه من العلماء،وأخلاقه أخلاق أهل الجهل والجفاء،فتنه لكل مفتنون، لسانه لسان العلماء،وعمله عمل السفهاء»[2].

وفي الآثار والسنة المحمدية نجد كثيراً من الأحاديث النبوية التي تشير إلي شروط طلب العلم، وعدم الغرور به، والعمل بإخلاص لله، و«عن خالد دريك،عن ابن عمر، قال:قال رسول الله ﷺ:«من تعلَّمَ علماً بغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعدهُ في النار»»[3].

ويحذرنا الإمام الغزالي من التكبر في طلب العلم لكي يجب علي المتعلّم أن يتمسك بلأخلاق والتواضع للعلماء حيث يقول«أن لا يتكبر علي العلم وأهلة،ولا يتأثر علي المُعلم،بل يلقي إلية بزمام أمره،في تفضيل طريق التعلم، ويذعن لنصحه إذعان المريض

(١) ابن جماعه:تذكره السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم-في آدابه في نفسه-مصدر سابق-صـ٧٧.
(٢) أخلاق العلماء- الأجري-صـ٧٢
(٣) المصدر-السابق-نفس الصفحة

للطبيب، أما التكبر علي العلم فأن يستنكف من استفادته ممن يعرفه، وهو عين الحمق، بل الحكمة ضالة كل حكيم، فحيث يجدها ينبغي أن يغتنمها، ويستفيدها، ويتقلد بها المنة

فالعلم حرب للفتي المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي

فلابد من التواضع، ولذلك قال تعالي: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾أي يكون مشتعلا بالعلم وهو المراد بمن له قلب، أو كان فيه من العقل ما يحمله علي إلقاء السمع، وحسن الإصغاء، والضراعة»[1].

ونجد أن استخدام التواضع والرفق واللين في العملية التربوية تساعد المُعلم علي تحليل الأفكار والتفكير المستقل والانفتاح الذهني وتحمل المسؤولية تجاه الطلبة والتسامح معهم يؤدي إلي تطبيق نسق تربوي سليم.

فيما سلف ذكره تحدثنا عن سيكلوجية العلاقة بين المعُلم والمتعلم، تبين لنا أن هذه العلاقة لا يمكن أن تتم إلا بتجنب المُعلم الرذائل مثل الكبر والعجب والخيلاء وأيضاً لابد أن يبتعد عن مواطن الشبهة وهي كما يلي:

تجنب مواطن الشبه والتهمة:

المعُلم العاقل* هو الذي يميز بين الصواب والخطأ وبين الحلال والحرام، ولابد أن تبقي الشبهات حتى يتمسك بالفضائل الأخلاقية الحميدة وتظهر عليه السكينة والوقار واحترام المتعلمين له حيث يقول البستي «العقل اسم يقع علي المعرفة بسلوك الصواب،والعلم باجتناب الخطأ،فإذا كان المرء في أول درجته سمي أديباً ثم أريباً ثم لبيباً ثم عاقلاً وكذلك الجاهل يقال: له في أول درجته:المائق ثم الرقيع ثم الأنوك ثم الأحمق»[2].

---

(١) ميزان العمل –الإمام الغزالي–مصدر سابق–صـ٣٤٤،٣٤٥.

(*) العاقل من يستدل بأسرار الوجوة علي أسرار القلوب، العاقل من يري بأول آخر الأمور ويهتك من مبهاتهما ظلم الستور،العاقل من يستنبط دفائن القلوب،ويستخرج ودائع الغيوب،العاقل من عرف مكانه وحده،وعلم محلة وخطة[كتاب العقد النفيس ونزهة الجليس–التعايش]صـ١٨

(٢) مختصر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لأبن حبان البستي–مصدر سابق–صـ٢١

وهناك طرق تربوية فقهيه لابد أن يتمسك بها المعلم لكي يبتعد عن مواطن الشبهة، ويتم ذلك من خلال عقله المستنير بضوء العلم حيث يقول البستي«وأول شُعب العقل هي لزوم تقوي الله عز وجل وإصلاح السريرة لأن من صلح جوانية* أصلح الله *برانية ومن فسد جوانية أفسد الله برانية،واعلم أن قطب الطاعات للمرء في الدنيا هو إصلاح السرائر وترك أفساد الضمائر والواجب علي العاقل الاهتمام بإصلاح سريرته والقيام بحراسة قلبه عند إقباله وإدبارة وحركته وسكونه»(١).

كيفية ترك مواطن الشبهة والتهمة عند المعلم؟:-

ومن خلال الفقرات السابقة نلاحظ أن من واجبات المعلم البعد عن الشبهات وعدم المباهاة بالعلم وقد حذرنا الرسول ﷺ و«عن أبي الزبير،عن جابر قال:قال رسول الله ﷺ:لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء،ولا لتجتروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار»(٢).

وعن أبي هريرة قال:قال رسول الله ﷺ : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه»(٣).

وأخبرنا أبو بكر، وأخبرنا أبو بكر بن أبي داود، وأخبرنا أيوب بن محمد الوزان، أخبرنا غسان –يعني ابن عبيد– عن عثمان البري عند سعيد بن أبي سعيد المقبري،عن أبي هريرة قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول:«إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عَالِمُ لم ينفعه علمه» وأخبرنا أبو بكر«أخبرنا الفرياني»أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد،أخبرني أبي قال:سمعت الأوزاعي يقول: «كان يقول:ويل للمتفقهين لغير العبادة ،والمستحلين لحرمات بالشبهات»

---

(١) المصدر السابق صـ٢٨.

(٢) الخطيب في الفقيه والمتفقة باب إخلاص النية حـ٢صـ٨٨.

(٣) رواة ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضلة باب ذكر استعاذة رسول الله صلي الله عليه وسلم من علم لا ينفع وسؤاله العلم النافع حـ١صـ١٦٢.

وقال الفضل: «العلماء كثير، والحكماء قليل، وإنما يراد من العلم الحكمة،فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا»[1]بمعني أن العالم وجب علية التمسك بالحكمة ونور العقل لذلك وجب علي العلماء أن يتميزون بالعقول المستنيرة، والعقل أمر هام في عملية التعلَّم «قال النبي ﷺ : العقل نور في القلب نفرق بين الحق والباطل،وبالعقل عُرف الحلال والحرام،وعُرفت شرائع الإسلام ومواقع الأحكام، وجعله الله نوراً في قلوب عباده يهديهم إلي هُدي ويصدهم عن روي ومن جلالة قدر العقل أن الله تعالي لم يخاطب إلا ذوي العُقول فقال عزَّ وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾أي عاقلاً.وقال ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي لمن كان له عقل وقال صلي الله عليه وسلم:قِوَام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له»[2] كل هذه الآثار والآيات القرآنية تنبهنا إلي استخدام العقل في النسق التربوي الذي يساعد المُعلم علي تكوين الأحكام وهو أساس إستراتيجية التعليم، والإنصات للآخرين وتحليل أفكار الطلبة ليقربهم بعضهم إلي بعض.

النتائج العلمية التي يترتب عليها من ترك رذيلة الشبهة والتهمة:

ومن النصوص السابقة يتبين لنا كيف يتجنب المُعلم مواطن الشبهة والتهمة عن طريق ما يلي:

أ- لزوم تقوي الله عز وجل.

ب- إصلاح سريرة العالم أي ضميره الداخلي وهذا ما يسمي بالضمير الخلقي

جـ- المقصود بالجوانية أي جوهرة الداخلي الباطني فإذا كان صالحاً أصلح الله له ظاهرة وبذلك يتفق جوهرة من مظهرة وهذا ما نفقده اليوم في الحقل التربوي عن طريق اختلاف الجوهر عن المظهر، أعوذ بالله من طريق ذلك.

د-البعد عن إفساد الضمائر لأنها السبب في وقوع العالم في الشبهات.

(١) أخلاق العلماء-الأجري -مصدر سابق-صـ٧٣،٧٤،٧٥.

(٢) العقد الفريد-ابن عبد ربة-جـ٢صـ٢٤٨،٢٤٩

ولكي بيتعد العالم عن مواطن الشبهة والتهمة يلزمه التمسك«بالمروءة» لأنها تجعله يتجنب المال الحرام«أخبرنا محمد حدثنا أحمد بن الحارث حدثنا المرائي قال:قال مـــروان بن الحكم لوهب بن الأسود:ما المروءة فيكم؟ قال:بر الوالدين وإصلاح المال»(١).

ونجد أن إصلاح المال لا يتم إلا عن طريق الزهد والبعد عن زخرف حياة الـــدنيا وزينتها، ويصبح العالِمْ بعيداً عن الشبهة بإتباع منهج الزهد: «حدثنا عبد الله حدثني أبـــي حدثنا يونس حدثنا بقية عن الري بن ينعم عن مريع بن مسروق عن معاذ بـــن جبـــل أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال له لما بعثه إلي اليمن:إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين»(٢).

ويقول ابن جماعه في شروط المعلم وآدابه في نفسه لكي يبتعد عـــن الشـــبهة«أن يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه، ويتحري الحلال في طعامه وشرابه ولباســـه وســـكنه، وفي جميع ما يحتاج إلية هو وعياله ليستنير قلبه ويصلح بقبول العلم ونوره والنفع به»(٣).

تحذير العلماء من التمسك بمواطن الشبهة والتهمة:

وقد حذرنا العلماء والفقهاء من مواطن الشبهة والتهمة في طلب العلم ونشرة لغير الله، والابتعاد عن غرور حياة الدنيا،لذلك قال محمد بن الحسين:قول الفضيل –الله أعلـــم– الفقهاء كثير والحكماء قليل:يعني قليل من العلماء من صان علمه عـــن الـــدنيا، وطلـــب الآخرة، والكثير من العلماء قد افتتن بعلمه، والحكماء قليل كأنه يقول: ما أعز من طلـــب بعلمه الآخرة.

وأخبرنا أبو بكر،أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل، أخبرنا بشر بن الوليـــد،أخبرنا فليح بن سليمان،عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة

(١) المروءة– المرزُيان المتوفي سنه ٣٠٩هـــ– مصدر سابق–صـــ٥١.

(٢) الزهد–أبي عبد الله ابن محمد بن خبل الشيباني– مصدر سابق صـــ١٤.

(٣) تذكرة السامع المتكلم في أدب العلم والمتعلم–ابن جماعة–مصدر سابق–صـــ١١١.

قال:قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً مما ينبغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليُصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»*(١).

وابتعاد المُعلم عن الشبهة والتهمة يساعده علي تطوير الفكر الإنساني تكوين القيادات الفكرية، وتكوين الفكر المنطقي العقلاني عند الطلبة،وتشجيع التأمل في القضايا التربوية

وقد تناولنا فيما سبق موقف القرآن والآثار والسنة النبوية الشريفة من الشبهة والتهمة بالنسبة للمعلم والمتعلم، ولكن نفّسر الأمر وضوحاً وتربوياً نجد أن هناك أقوال للحكماء لابد أن يتناولها العالم للابتعاد عن الشبهة:

أولا من أقوال الحكيم أبو الريحان البيروني حيث يقول:

- المن يبطل إحسان المحسن
- ما اجتمعت عليه الألفة والعادة واصطلحت عليه العامة فلا تخالفه.
- مدرسة أخلاق العلماء تحيي السنة الحسنة، وتميت البدعة السيئة.
- السنن الصالحة علامات الخير والحق(٢) ويتم ذلك عن طريق العقل،لأن العقل يأمر بالعفاف وبالتقي...وإلية يأوي الحلم حين يؤول.

قال الحكيم ابو الحسن علي بن راماس العوفي (الفضائل مبدأ الخيرات، والرذائل أساس الشرور)(٣)، والفضائل تنشأ من الضمير الخلقي، أي أن الإنسان هو الذي يختار فعله من خلال ضميره لذلك يستطيع أن يحاسب نفسه ويراجع ضميره ومن أهم الشروط أيضاً التي يجب أن يتبعها العالم لكي يبتعد عن الشبهة وهي ما يلي:

(*) الخطيب الفقية والمتفقه باب إخلاص النية حـ٢ صـ٨٩.

(١) أخلاق العلماء-الأجري-صـ٧٦.

(٢) تاريخ حكماء الإسلام-البيهقي- مصدر سابق صـ٨٣

(٣) المصدر السابق صـ٨٤

١. أن يكون عفيف النفس(*)[١] ولعبد الله بن محمد:ثلاث من كن فيه حوي الفضل وإن كان راغباً عن سواها:صحة العقل، والتمسك بالعدل، وتنزية نفسه عن حقوقها.

٢. آدابه في نفسه«إن يحسن نيته ويطهر قلبه من الأناس،ليصلح لقبول العلم وحفظ واستمراره»[٢] لأن النفس لطيفة مودعة في هذا القالب هي محل الأخلاق.

٣. قال بعض السلف: «لا يطلب أحد هذا العلم بعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح وقال أيضاً: لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس فقيل: ولا الغني المكفي، فقال: ولا الغني المكفي»[٣]

البعد عن غرور الحياة الدنيا من صفات المُعلم:

وعلي كل عالم وطالب للعلم أن يبتعد عن غرور الحياة الدنيا وزخرفها حيث يقول: الإمام الغزالي«أن يقلل علائقه من الأشغال الدنيوية، ويبعد عن الأهل، والولد، والوطن،فإن العلائق صارفه، شاغله[وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه] وكلما توزعت الفكرة، قصرت عن درك الحقائق، ولهذا قيل:[العلم لا يعطيك بعضه، حتى تعطية كلك، فإذا أعطيته كلك فإنك من إعطائه إياك بعضه علي خطر] والفكرة مهما توزعت علي أمور، كانت كجدل ماؤه منكشف منبسط، فينشقة الهوى والأرض، ولا يبقي منه ما يجتمع ويبلغ المزرعة، وينتفع به»[٤].

(*) حسن ا لنية: «وأما النية فهي:إرادة تتعلق بإمالة الفعل إلي بعض ما يقبله لا بنفس الفعل من حيث هو فعل.ففرق بيم قصدنا لفعل الصلاة وبين قصدنا لكون ذلك قربه، أو فرضا، أو نفلاً،أو أداء، أو قضاء،إلي غير ذلك مما هو جائز. علي الفعل، بالإرادة المتعلقة، بأصل الكسب والإيجاد وهي المساة بالإرادة عن جهة أن هذه الإرادة جميلة للفعل، إلي بعض جهاته الجائزة عليه فتسمي من هذا الوجه: نية فصارت الإرادة إذا أضيف إليها هذا الاعتبار صارت نيه،وهذا الاعتبار–هو:تمييز الفعل عن بعض رتبه(الأمنية في إدراك النية –القرافي صـ٩)[وقال عارف: من رأيت طلعته منيرة فاستدل بذلك علي صفوة السريرة يتمناً إذا قوبل بالقبول شعر: وسنة الله من تخلص سريرته يعظم ويحمل بين الناس مشهدة فالوجه للقلب كالمرأة مطهرة والقلب للوجه كالمشكاه توقده»

(١) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد–زين الدين بن أحمد العاملي–صـ١٤٤.

(٢) المصدر السابق–صـ١٨٦.

(٣) المصدر السابق–صـ١٨٨.

(٤)ميزان العمل–الإمام الغزالي–صـ٣٤٣،٣٤٤.

ومكتوب في الحكمة:إن العاقل لا يغتر بمودة الكذوب ولا يثق بنصيحته ويقال: المُعْجب لحوح والعاقل منه في مؤونه. وأما العُجْب فإنه الجهل والكبْر[١]

ويجب علي العالم أن يتمسك بأفضل المعرفة والمروءة ويبتعد عن الغرور لذلك «قيل لقُس بن ساعدة: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل لنفسة، قيل له: فما أفضلُ العلِمْ؟ قال: وقوف المرء عند علمه؟ قيل له: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهة. وقالوا: التفكير نور، والغفله ظلمه، والجهالة ضلاله،والعلم حياه، والأول سابق، والآخر لا حق، من سعيد من وعُظ بغيره»[٢]

والتكبَّر والغرور، يؤديان إلي الثناء الكاذب وهذا الإبقاء لهما عند العالم فقالوا: «ثلاثة لا بقاء لها: ظلَّ الغمام، وصحبة الأشرار، والثناء الكاذب وقالوا:ثلاثة لا تكون إلا في ثلاثة:جالسوا الكبراء، وخالطوا الحكماء، وسائلوا العلماء»[٣].

والعجب وهو إعجاب المرء بنفسه، لأن النفس الأمارة السوء هي أسباب الغرور والتكبّر، فيجب الابتعاد عنها«وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: أخوف ما أخاف عليكم شح مطاع، وهوي مُتبع،وإعجاب المرء بنفسه»[٤] والابتعاد عن الغرور يجعل التربية عملية هادفة غير حيادية تعمل كمحفز للحوار والبحث والمناظرة وبذلك يتم النسقّ التربوي بين المُعلم والمتعلم في جميع الحقول التربوية،والأبحاث العلمية.

تحدثنا فيما سبق عن سيكلوجية العلاقة بين المعلم والمتعلم، وكيف يمكن تطبيق النسق التربوي بينهما في العملية التعليمية التربوية،وتناولنا البراهين الصادقة من القرآن والآثار والسنة والحكماء، **ولكن هناك شروط تختص بوظيفة المُعلم لكي يبتعد عن مواطن الشبهة والتهمة وهي ما يلي:**

---

(١) العقد الفريد–ابن عبد ربه–حـ٢،صـ٢٤٦.
(٢) المصدر السابق–صـ٢٥٥.
(٣) المصدر السابق– صـ٢٥٧.
(٤) المصدر السابق– نفس الصفحة.

باعتباره قدوة حسنه:-

المُعلم هو القدوة للمتعلمين في كل شئ، ويبدأ بنفسه بتطبيق الفضائل الأخلاقية مثل القناعة بالقوت البسيط والصبر علي طبق العيش والمال البسيط لذلك: يقول ابن جماعه: «أن يقنع من القوت بما تيسرَّ وأن كان يسيراً، ومن اللَّباس بما ستر مثله وإن كان خلقاً. فالصبر علي ضيق العيش يناب سعة العلم ويجمع شمل القلب علي متفرقات الآمال ويتفجر منه ينابيع الحكم، وقال الشافعي: لا يطلب أحد هذا العلم بالمُلك وعزّ النفس فيُفلح ولكن من طلبة بذُلّ النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح، وقال:لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس، قيل: ولا الغني المكفي؟ قال: ولا الغني المكفي، وقال مالك: لا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد، حتى يضر به الفقر ويؤثر علي كل شئ»[1].

والمقصود ببذل النفس هنا هو: «عليك بالبحث عن جواهر النفس الشريفة»[2]والنفس الشريفة: هي النفس المطمئنة وليست الأمارة بالسوء.

أهم فضائل النفس الإنسانية وهي العلم، والأخلاق ،الأدب:

والبحث عن جواهر النفس من الأمور العملية، فمن الواجب علي العالْمِ أن يجامع نفسه من الشهوات ويقف ضدها مثل النفس الإمارة بالسوء فيقول الإمام الغزالي: «إما العملي:فمعرفة الله تعالي، ومعرفة الملائكة والأنبياء ، أي معرفة النبوة ومراتبها، ومراتب الملائكة وملكوت السموات والأرض آيات الآفاق والأنفس، وما بث فيها من دابه»[3].

ويجب علي المتعلم المتتبع الطرق التربوية الصحيحة أن يكون قصده في كل علم، كمال النفس، وتمسكها بالفضائل الأخلاقية فيقول الإمام الغزالي الآخرة التقرب إلي الله عز

(١) ابن جماعة:تذكره السامع المتكلم في آداب العلم والمتعلم–الباب الثالث في آداب العلم الفصل الأول: في آدابه في نفسه–مصدر سابق–صـ٤٨.

(٢) تاريخ حكماء الأسلام –البيهقي مصدر سابق صـ٤٨.

(٣) ميزان العمل–الإمام الغزالي–صـ٣٥٣،٢٤٥

وجل، ولا يكون قصده الرياسة والمال ومباهاة السفهاء، ومماراة العلماء، فقد قال عليه السلام:[من تعلم العلم ليباهي به السفهاء، ويماري به العلماء دخل النار](١).

وفي كتاب الياقوته في العلم والأدب لأبن عبد ربه يحذرنا من تحامل الجاهل علي العالم«قال النبي ﷺ: ويل لعالم أمْرِ من جاهلة. وقالوا إذا أردت أن تفحم عالماً فأحصره جاهلاً.وقالوا: لا تناظر جاهلاً. وقالوا: لا تناظر جاهلاً ولا لجوجاً، فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلي التعلم بغير شُكر»(٢) والمُعلم عند ما يتمسك بالأهواء والرغبات الشخصية والبعد عن الموضوعية العلمية يصبح جاهلاً سفيهاً، لا يستفيد من مناظرته وعلمه، وعلاج فيما سبق عن طريق تفريج النفس، وإقامة الحجة عليها واللوم دليل ذلك حيث يقول الشاعر:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم(٣)

فقال حجة الإسلام: اعلم أن المعرفة معرفتان: معرفة حق ومعرفة حقيقة، فمعرفة الحق: هي الفرار من النفس، ومعرفة الحقيقة: هي الفرار من الله تعالي(٤).

الشروط الواجبة في كسب المال الحلال:-

ومن شروط كسب* المال عند المُعلم الخضوع والتملك وبذل المال بتواضع وخُلق طيب ومن هناك شروطاً يحصل المُعلم من خلالها علي السعادة حيث يقول ابن خلدون: «إن السعادة في الكسب وغيره، إنما تحصل غالباً لأهل الخضوع والتملق لأن الجاه لما

---

(١) المصدر السابق-صـ٣٦١

(٢) العقد الفريد-ابن عبد ربه٠حـ٢صـ٣٢٣.

(٣) رسائل في النفس-كشف اللبس عن دسائس النفس- نور الدين علي المنير-الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولي-١٤١٠هـ-١٩٩٠م.صـ٥٥،٥٦

(٤)المصدر السابق- صـ٦١.

(*) قال محمد بن عبد الله بن طاهر:لعمرك ما بالعقل يُكسب الغني ولا باكتساب المال يكتب العقل

وكم من قليل المال يُحمد فضله وآخري ذي مال وليس له فضل

وما سبقت من جاهل قط نعمه إلي أحد إلا أضر بها الجهل

وذو اللب إن لم يُعط أحمدت علته وإن هو أعطي زلته القول والفعل

كان مفيدا للمال، وكان موزعاً في الناس بحسب طاقتهم، كان بذله من أعظم النعم وأجلها وإذ ذاك لا يبذله صاحبة لمن دونه إلا عن يد عالية، فيحتاج مبتغيه إلي خضوع وملق وإلا فبتعذر حصوله وإذا حصل بتواضع هذا الخلق خطي بالسعادة في كسبه وغيره، كما يفوت المترفع عن هذا التواضع»[١].

وتجدر الإشارة هنا إلي للعلم ذكر أقوال ابن سحنون في كيفية المحاسبة علي أجر المُعلم كل شهر أو كل سنه، أما عن أجر المعلوم يقول ابن سحنون:«وهذا إذا كان المُعلم بأجر معلوم كل شهر أو كل سنه، وأما إن كان علي غير شرط. وما أعطي قَبِل، وما لم يعط لم يسْأل فله أن يفعل ما شاء إذت كان أولياء الصبيان يعلمون بتضبيعه،فهم إن شاؤوا أعطوا علي ذلك، وإن شاؤوا لم يعطوه»[٢] وتحديد الأجر عند ابن سحنون يجعل المُعلم يضع التفاصيل اليومية في إطارها الأوسع لمصلحة العملية التربوية، وتساعد علي ربط الأمور ببعضها وتوضيح السبب مع المسبب، وتشجيع علي التدبر في عمل المِرء.

أهم الصفات التي يتحلي بها المعلم:-

يقول أبو حاتم البستي في باب ذكر الحث علي لزوم العلم والمداومة علي طلب فيقول " الواجب علي العاقل إذا فرغ من **إصلاح سريرته:** أن يُتنَّي بطلب العلم والمداومة عليه، إذ لا وصول للمرء إلي صفاء شئ من أسباب الدنيا إلا بصفاء العلم فيه، وحكم العاقل أن لا يُقصِّر في سلوك حالة توجب له بَسْط الملائكة أجنحتها رضاً بضيعة ذلك[٣].

وعلي أساس هذه الصفة السابقة يجب علي المُعلم أن يكثر من المعرفة«وقال الخليل: «تكثر من العلم التعرَّف،وتقلل منه لتحفظ» وقال عمر بن العزيز،ما قرن شئ إلي شئ أفضل من حلم إلي علم، ومن عَفْو إلي قدره»[٤].

---

(١) المقدمة-ابن خلدون-في العلوم وأضافتها وطرقه وسائر وجوهة- وفي اكتساب المعاش بالكسب والضائع وفيه سائل-صـ١٩١،١٩٢ مصدر سابق

(٢) آداب المعلمين-ابن سحنون-الجزء الثالث-تشريع لبعض الحالات صـ،١٦٩.

(٣) سراج الملوك-الطرطوشي-صـ١٩٥،١٩٦،

(٤) البيان والتبين -الجاحظ-حـ١صـ١٧٧.

وقد ظهرت سمات العلم بوضوح تام في فضله والنظر إلية، واستمرارية العلم وزيادته عند العلماء يزيد من وقارهم وحسن هيئتهم لذلك يقول الطرطوشي في طلب العلم«وإذا كان العلم فضيلة، فرغبه الملوك وذوي الأخطار والأقدار والأشراف والشيوخ فيه أولي،لأن الخطأ فيهم أقبح، والابتداء بالفضيلة فضيلة،وزوي أن بعض الحكماء رأي شيخاً يطلب العلم ويجب النظر فيه ويستحي فقال: يا هذا، أتستحي أن تكون في آخر عمرك، أفضل مما كنت في أوله؟ولأن الصغير أعذر وإن لم يكن يستنكف ملك، أو ذو منزلة عليه من طلب علم؟ وهذا موسي عليه السلام ارتحل من الشام إلي مجمع البحرين في أقصي المغرب علي بحر الظلمات إلي لقاء الخضر ليتعلم منه،فلما ظفر به قال﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾*»[1].

ولا ريب أن مبدأ التوازن عند المعلم يتم من خلال تمسكه بالعلم والأدب، فيقول الثعالبي: «أشرف ما دعيت، والخير أفضل ما رعيت، العالم العاقل مرموق مرموق، قدر ما كان العالم موقراً والجاهل محقراً،من جميع بين الأدب والمال،فقد حاز جمل الجمال،لا يحسن ديباج الأدب ما لم يكن بالعقل مطرزاً، وبالقبول معززاً،الأديب لا يخالس من لا يجانس، الأدب وسيلة إلي كل فضلة، وذريعة إلي كل شريعة»[2].

المسئولية والجزاء في أفعال المُعلم:-

فيما مضي تحدثنا عن موقف المُعلم من كسب المال، وهذا ما يسمي بشروط المسئولية الأخلاقية والدينية عند المُعلم، وهي التي تعبر عن الطابع الشخصي للمسئولية:قوله تعالي: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[3]وقال تعالي﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[4]ويقول تعالي﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا

(*) سورة الكهف-آية ٦٦

(١) سراج الملوك- الطرطوشي-صـ١٩٤،١٩٥،١٩٦.

(٢) من روائع الثعالبي -كتاب العقد النفيس ونزهة الجليس-صـ١٨.

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٦.

(٤) سورة النساء:آية ١١١.

يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1] ويقول تعالي﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[2][3]

ومن شروط بعد المُعلم عن الشبهة،أن يصاحب الصاحب الصالح ويتجنب الصاحب الشرير الفاسد حتى لا يوقعه في الشبهات فيقول العاملي«والذي ينبغي لطالب العلم أن لا يخالط إلا من يفيده أو يستفيد منه.فإن احتاج إلي صاحب فليحذر الصاحب فلتختر الصاحب الصالح، الديّن التقي الذكر، الذي أن نسي ذكره وأن ذكّر أعانه، وأن احتاج واساة، وأن ضجر صبره فيستفيد من خلقه ملكة صالحة»[4].

التمسك بفضيلة العلم من أجل البعد عن قرناء السوء:

ولا يمكن تجنب الصاحب الشرير إلا من خلال استخدام العقل من التفكير الصحيح واجتناب المناهى والبعد عن المنكرات، وبذلك يصبح طالب العلم متمسكاً بالحكمة*، والاستقامة، والقول الصالح

لم يُخلق العقلُ دراكاً لحكمته ... لكن ليقبل ما يأتيه من حِكمَ

من اجتناب المناهي عن محاربه ... وامتثال لأمر طاعة الخدم

ويستدل علي البارئ بصفته ... وانه الخالق الرَّزاقُ للأمم

ومبلغ العلم فيه أنه أحد ... منزه عن صفات الخلق كُلِّهِم

وكيفية علاج مواطن الشبهة يتم عن طريق التمسك بالحلم ودفع السيئة بالحسنة. قال تعالي:﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ

(١) سورة الأسراء:آية ١٥.
(٢) سورة النجم :آية ٣٩.
(٣) دستور الأخلاق في القرآن الكريم د.عبد الله دراز– مصدر سابق صـ١٤٨.
(٤) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد–الباب الأول–في آداب المُعلم والمتعلم– مصدر سابق صـ١٨٩.
(*) الحكمة: وهي فضيلة النفس العاقلة،بها تسوس القوة الشهوية والقوة الفضية وتقدر.حركاتها بالقدر –الواجب في كل الحالات كما أنه بالحكمة أيضاً تدر النفس الصواب من الخطأ فيما يأتي وتذر من الأفعال،[فلسفة الأخلاق في الأسلام وصلتها بالفلسفة الاغريقية د. محمد يوسف موسي– مكتبة الخانجي – القاهرة– الطبعة الثالثة– ١٩٩٣م–صـ١٦٠.]

كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾وعن النبي ﷺ: ما تجّرع عبد في الدنيا جرعه أحبَّ إلي الله من جرعه غيظ ردها بحلم، أو جرعه مصيبة ردها بصبر(١).

ويجب استخدام فضيلة الحلم في تعليم الصبيان لذلك(قيل لقيس بن عاصم: ما الحلم؟ قال: أن تصل من قطعم؟ وتعطي من حَرمَك، وتعفو عمن ظلمك، وقال لقمان الحكيم: ثلاثة لا تعرفهم إلا في ثلاثة: لا تعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عن الحرب، ولا تعرف أخاك إلا إذا احتجت إلية.

وفي شعر للحسن بن رجاء يقول:

أحب مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعاباَ

وأصفح عن سباب الناس حِلْماً وشر الناس من يهوي السبابا

ومن هاب الرجال تَّهَّيبوه ومن حَقَر الرجال فلن يهابا

ومن قضت الرجال له حقوقاً ولم يقض الحقوق فما أصابا(٢)

ومن أهم الفضائل التي يتمسك بها المُعلم حسن الهيئة:

وحدد العاملي مجموعة خصائص ينبغي أن يتصف بها المُعلم، وكذلك رسم مواصفات علاقة مثالية بين المُعلم والمتعلم، وعَيَّن للمُعلم الطريقة التي يسلكها في الدرس حيث يقول: «أن يخرج إلي الدرسْ الأكامل الأهبة وما يوجب له الوقار والهيبة في اللباس والهيئة والنظافة في الثوب والبدن. ويختار له البياض فأنه أفضل لباساً،ولا يعتني بفاخر الثياب بل بما يوجب الوقار وإقبال القلوب عليه، كما ورد النص به في أئمة المحافل من الأعياد والجماعات وغيرها»(٣).

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه –حـ٢– صـ٢٧٥،٢٨٦

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه –حـ٢– صـ٢٨١،٢٨٤

(٣) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد–زين الدين العاملي– مصدر سابق صـ١٧٤.

والهدف من حسن الهيئة هو توقير العلم: «وليقصد بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة، وليتطيب ويسَّرحْ لحيته ويزيل كل ما يشينه»(١).

ومن حُسن الهيئة للعلماء زى خاص في كل بلد فهاهم الأساتذة عند الأفرنج يلبسون جبه العلم في المحافل الرسمية، ويلبسها بعضهم في أثناء إلقاء الدرس أيضاً(٢).

الفوائد العظمي من التمسك بحسن الهيئة عند المُعلم:

فيما مضي تعرفنا من خلال النصوص علي التزام العالم بحسن هيئته لتعظيم شأن العلم والعلماء، واحترام العالم وتوقيره بين صفوة البشر يتم عن طريق التنافس بين أقوالة وأفعاله وترتيب أفكاره تعطيه الهيئة والاحترام حيث يقول العاملي«أن يحترز من مخالفة أفعاله لأقواله، وإن كانت علي الوجه الشرعي، مثل أن يحرم شيئاً ويفعله أو يوجب شيئا ويتركه، أو يندب إلي فعل شيء ولا يفعله»(٣)

وحسن الهيئة عند العالم تظهر علية من خلال علمه وأخلاقه وزيه وتطيبه، والمتعلمين هم مرآة العالِمْ في كل شئ لأنه قدوة لهم وهناك تشبيه جميل ذكره العاملي في آداب يختص بها المعلم في نفسه حيث يقول«وبالجملة،فمثل العالم والمتعلم في انتفاشه بأخلاقه وأفعاله، مثل الفص والشمع،فإن لا ينقش في الشمع إلا ما هو منقوش في الفص.وقد شاهدنا هذا عياناً في جماعه من طلبة العلم مع مشايخهم علي اختلاف أفعالهم وأخلاقهم، ولا ينبئك مثل خبير»(٤).

والمعلم هو الذي يخشي من الله بد (أما علمت أن لله عباداً أسكنتهم خشية من غير عمي، ولا بكم، وأنهم هم النبلاء،الفصحاء، الطلقاء، الألباء، العالمون بالله، وآياته، ولكنهم

(١) المصدر السابق–نفس الصفحة.
(٢) التربية عند العرب .د. خليل طومح –مكتبة الثقافة الدينية –القاهرة –الطبعة الأولي ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م.صـ٥٢.
(٣) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد– زين الدين العاملي– مصدر سابق صـ١٥٩.
(٤) المصدر السابق–صـ١٦٠.

إذا ذكروا عظمه الله، انقطعت قلوبهم، وكلت ألسنتهم، وطاشت عقولهم، وأخلاقهم، فرقاً في الله، وهبة له)[١].

ونلاحظ أن العالِمْ مسئول عن علمه و«علموا أن الله- عز وجل- يسائلهم عن علمهم، ما علموا فيه،فجعلوا مسألة الله نصب أعينهم، فألزموا أنفسهم شدة الحذر، وأخذوا بالثقة في كل أمرهم»[٢]

قال النبي: «إن مثل العلماء في الأرض كمثل نجوم السماء يُهتدي بها في ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم يوشك أن تصل الهداة»[*]

وينبغي علي المُعلم أن يلتزم بالوقار والآدب في نشر العلم بين تلاميذه: «إذ الأدباء جلساء الحق، ومن لا أدب له، لا شهود له، ومن لا شهود له فهو يسبح في بحر الأفكار العقلية بالوسائط الخيالية وهي الحائر الذي لا ينتهي أبداً فهو يطلب ما لا يعطي حقيقته أن يطلب»[٣]

ومن حسن الهيئة عند العلماء أن يكون متفقهاً مثقفاً،لأن علمه يعلي من همته وشأنه لذلك يقول الحكيم« العلم يعلي الهمة ويفيد المحاسن ويبسط اللسان»[٤] علي تعلَّم اللُّغة لأن اللغة هي وعاء الفكر، وكلما صَحّتْ لغتُك صح فكرك، وكلما عرفتَ عدداً من اللَّغات، أتيح لك أن تعرف الكثير من المعارف، وثمرات العقول في اللُّغة.

ويستدل العاملي علي حسن هيئة المعلم من سيرة أصحاب السلف فيقول:«كان بعض أصحاب السلف إذا جاءه الناس لطلب الحديث يغتسل ويتطيب ويلبس ثياباً جدداً

---

(١) أخلاق العلماء- الأجري صـ٦٧.

(٢) المصدر السابق صـ،٦٨.

(*) الخطيب الفقيه والمتفقه حـ٢ صـ٧٠.

(٣) رسالة كيفية السلوك إلي رب العالمين-الحكيم الترمذي -تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السامح الدار المصرية اللبنانية-الطبعة الأولي -١٤١٣هـ١٩٩٣م.صـ٥٨.

(٤) تاريخ الحكماء -البيهقي- مصدر سابق صـ١٤٦

ويضع رداءه علي رأسه ثم يجلس علي منصة ولا يـزال يبَّخـر بـالعود حتـى يفـرغ ويقول:أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ»[1].

كيفية تطبيق حسن الهيئة:

ويتم تطبيق حسن الهيئة عن طريق تهذيب النفس بالعلوم والأخلاق الحميدة:

هذّب النفس بالعلوم لترقي وتري الكل فهو للكلّ بيت

إنما النفس كالزجاجة والعقلُ سراج وحكمة الله بزيت

فإذا أشرقت فإنك حيٌّ وإذا أظلمت فإنك ميْت

ويجب علي المعلم أن يخالف هوي النفس ليصبح معلماً مثالياً وقدوة حسنة للمتعلم

إذا ما ودعتك النفس يوما لشهوة وكان لها نحو الهواء طريق

فخالف هواها ما استطعت فإنما هواها عدوٌّ والخلافُ صديق

وقال الشاعر: وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففي صالح الأخلاق نفسَك فاجعل

وقال العُتبيً عن أبية: لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس:أن يكون عالماً،صـادقاً، عـاقلاً،ذا بيان، مستغنياً عن الناس،وقال الأحنف:لا مروءة لكذوب، ولا سُودد لبخيل، ولا قتع لسيئ الخلق، وقيل للأحنف، ما المروءة؟ قال العفة والحرفة، وقالوا المروءة: العفاف وإصـلاح العيشة، وقيل لأبي هريرة: ما المروءة؟قال: يقوي الله وتفقد الصيغة[2].

ومن شروط حسن الهيئة عند المُعلم إصلاح سريرته:

يقول البستي في باب: ذكر إصلاح السرائر بلزوم تقوي الله«فأول شُعب العقل هو لزوم تقوي الله، وإصلاح السريرة، لأن من صلح جوانبه أصلح الله برانية، ومـن فسـد جوانبه أفسد الله برانية»[3]

(١) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد –العاملي– صـ١٧٨.

(٢) العقد الفريد– ابن عبد ربة–حـ٢–صـ٢٩٢،٢٩٣

(٣) روضة العقلاء نزهة الفضلاء –للأمام الحافظ أبي محمد بت حيان البستي تحقيق الشيخ خليل مـأمون دار الكتاب العربي –بيروت–الطبعة الأولي ١٤٢٥هـ٢٠٠٤م صـ١٩.

وقال أبو حاتم: «قطب الطاعات للمرء في الدنيا: هو إصلاح السرائر، وترك أفساد الضمائر.والواجب علي العاقل الاهتمام بإصلاح سريرته، والقيام بحراسة قلبه عند إقبالة وإدباره ،وحركته وسكونه لأن تكرَّر الأوقاف وتنحص اللذات،إلا يكون إلا عند فساده. ولم لم يكن لإصلاح السرائر سبب يؤدي العاقل إلي إستعماله: لا إظهار الله عليه كيفية سريرته،خيراً كان أو شراً،لكان الواجب عليه قله الإغفار عن تعاهدها»(١).

«وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ثلاث من اجتمعن فيه فقد سعد: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا قدر عفَّ وكف»(٢).

وحسن الهيئة عند المعلم تدل علي «عاطفة التعظيم والتوقير: وهي أحاسيس تدفع إلي تقدير شرف العلم ودراسته وتدريسه علي الوجه تبادلي بين المعلم وطلابه»(٣) ويجب عليه التمسك بالتواضع لله، وحسن الأدب مع الخلق كلهم، وسخاء النفس.

وهذه الفضيلة التربوية يقول عنها النووي: «وينبغي أن ينظر إلي معلمة بعين الاحترام، ويعتقد كمال أهليته ورجحانه علي طبقته، فهو أقرب إلي انتفاعه به، ورسوخ ما سمعه في ذهنه.قال الشافعي: كنت أصفح الورقة بين يدي مالك رحمه الله صفحاً رقيقاً هيبة له. وقال الربيع : ما أجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبته له»(٤)

من النص السابق يتبين لنا أن حسن الهيئة عند العلماء تعبر عن الوقار وشرف العلم والهيبة عند المعلم لذلك يقول الحكيم«تظهر أخلاق الحكماء علي من تعلم الحكمة* كما تظهر آثار الربيع علي البستان»(٥)

---

(١) المصدر السابق–صـ٢٠.

(٢) سراج الملوك– الطرطوشي–ص،٢٤٣.

(٣) في التراث التربوي دراسات نفسية تعليمية تراثية– نزير حمدان مرجع سابق–صـ٢٠٢.

(٤) المرجع السابق صـ٢٠٢،٢٠٣

(*) ومن نوادر الحكمة«وقالوا: التفكر نور، والغفلة ظلمة، والجهالة ضلالة، والعلم حياة، والأول سابق، والآخر لاحق، والسعيد من وُعظ بغيره»[العقد الفريد–ابن عبد ربه مصدر سابق صـ٢٥٥]

(٥) تاريخ الحكماء –البيهقي– مصدر سابق –صـ١١٣.

وقيل في طبقات الرجال. قال خالد بن صفوان: الناس ثلاث طبقات: طبقة علماء،وطبقة خطباء، وطبقة أدباء، ورجرجة بين ذلك يُغلون الأسعار، ويضيقون الأسواق، وقال الخليل بن أحمد: الرجال أربعه:فرجل يدرس أنة يدرس فذلك عالم فسلوه، ورجل يدري ولا يدري أنة لا يدرك فذلك الناسي فذكروه، ورجل لا يدري ويدري أنة لا يدري، فذلك الجاهل تعلَّموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري،فذلك الأحمق فارفضوه. وقال النبي ﷺ :كن عالماً متعلماً ولا تكن الثالثة فتهلك(١).

وعلي هذا النحو يمكن أن نتتبع الجانب النقدي للعلم وهو الجهل، وأهل الجهل بمنزله العميان و«أنه سبحانة جعل أهل الجاهل بنمزله العميان الذين لا يبصرون فقال: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾»(*أ)

فما ثم ألا عالم أو أعمي وقد وصف سبحانه أهل الجهل بأنهم « صم بكم عمي في غير موضع من كتابه»(٢)

ويجب علي المُعلم بالسنة والعلم، ولابد أن يتمسك بالعلم لأن بقاء الدين من بقاء العلم، لذلك يقول ابن الجوزية«أن بقاء الدين والدنيا في بقاء العلم وبذهاب العلم تذهب الدنيا والدين فقوام الدين والدنيا إنما هو بالعلم قال الأوزاعي: قال ابن شهاب الزهري :الاعتصام بالسنة نجاه والعلم يقبض قبضاً سريعاً فنعش العلم ثبات الدين والدنيا وذهاب العلم ذهاب ذلك كله»(٣)

لذلك كان من الطبيعي أن يتحلي المُعلم بالخصال التي هي جمال العقل ومن أهمها الحلم قال الله تعالي﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾(٤) وقال تعالي﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ

(١) العقد الفريد–ابن عبد ربه–حـ٢ –صـ٢٩٣،٢٩٤

(*) رواة الإمام أحمد والبخاري والترمذي عن أبي هريرة.

(أ) سورة الرعد:آية رقم ١٩

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة. ابن قيم الجوزية– صـ٧٨

(٣) المصدر السابق – صـ٢٥٦.

(٤) سورة هود:آية ٧٥

الْجَمِيلَ﴾[1] قال علي رضي الله عنه، الصفح الجميل: الرضا لا عتاب. وقيل: الصفح الجميل:الرضا لا توبيخ فيع ولا حقد معه وفي الأمثال القديمة: كان الحليم أن يكون نبياً. ويروي أن رجلاً قال: يا رسول الله علمني كلمات أعيش بهن ولا يكثرن علي فأنسي،قال: (لا تغضب)* واعلم أن الحلم أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب، لما فيه من راحة السر، واجتلاب الحمد[2]

ومن شروط حسن الهيئة عند العلماء التمسك بالفضائل الأخلاقية عند الجلوس مثل السكينة والوقار والتواضع لذلك يقول العاملي« أن يجلس بسكينة ووقار وتواضع وخشوع واطراق، ثانياً رجلية أو محتبياً غير متربع ولا مقع ولا غير ذلك من الجلسات المكروهة مع الاختيار. ولا يمد رجليه ولا أحداهما من غير عذر، ولا يتكى إلي جنبه ولا وراء ظهره ونحو ذلك. كل ذلك في حال الدرس. أما في غيره فلا بأس لأن الطلبة بمنزله أولاده»[3].

من النص السابق نجد أن فيه مصطلحات أخلاقية مثل السكينة والوقار والتواضع والخشوع وهذه المصطلحات تعبران عن الحكم الخلقي للمعلم والسبب هو أن المبادئ الأخلاقية طبيعية مكتسبة من خلال المجتمع وهي التي تعبر عن القواعد والسلوك **الإنساني، والنص السابق يشير أيضاً إلي أن الأخلاق نتقلبها من بيئتها لأنها أساس التعود علي السلوك الأخلاق وتخضع للتطور الاجتماعي.

(١) سورة الحجر:آية ٨٥

(*) رواة الإمام أحمد والبخاري والترمذي عن أبي هريرة.

(٢) سراج الملوك–أبو بكر الطرطوشي صـ٢٤٠

(٣) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد آداب المعلم في درسة– مصدر سابق صـ١٧٥.

(**) هناك[السلوك الكلي، والسلوك الجزئي، والسلوك الاضطراري اللا إرادي هذا يعبر عن الإحساس الذي يعبر عن العملية العقلية المعرفية الأولي تقوم علي استقبال المعلومات خلال أعضاء الحسن في العالم الخارجي أو الداخلي للإنسانٍ]

- الشروط الواجب توافرها من أجل التمسك بحسن الهيئة:

ومن مميزات حُسن الهيئة البعد عن الكبر«قال النبي ﷺ :يقول الله تبارك وتعالي: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي،فمن نازعني واحداً منهما قصمته وأهنته،وقال عليه السلام: لا يدخل حضرة القدس متكبّر»(١)

وقال بعض الحكماء(٢) لأبنه: يا بني عليك بالترحيب والبشر، وإياك والتؤطيب والكبر، فإن الأحرار أحبُّ إليهم أن يلقوا بما يُحبون ويُحرموا، من أن يلقوا بما يكرهون ويُعطوا، فانظر إلي خصلة غطّت علي مثل اللؤم فالزمها، وانظر إلي خصلة عفت علي مثل الكرم فاجتنبها. ألم تسمع قول حاتم الطائي:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رَحلْه ويخصب عندي المحلُّ جدبتُ

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكما وجه الكريم خصيب(٣)

والسياق التربوي لحسن الهيئة يتم عن طريق التواضع وهذه ما نجده في أقوال النبي ﷺ والحكماء(قال النبي ﷺ: من تواضع لله رفعة الله، وقالت الُحكماء: كل نعمة يُحسد عليها إلا التواضع. وقال عبد الملك بن مروان، رفعة إلي النبي ﷺ: أفضل الرجال من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة،وقال ابن السّماك لعيسي بن موسي: تواضعك في شرفك أكبر من شرفك(٤)

ومن مميزات حسن الهيئة في النسق التربوي عن ابن سحنون والقابسي هي ما يلي:

١- حسن الهيئة عند المُعلم يجعل المجتمعات الإسلامية بصفة خاصة لها أسلوب ونظام في التربية يميزها عن غيرها من المجتمعات.

---

(١) العقد الفريد-ابن عبد ربه -حـ٢ صـ٣٥١،٣٥٢

(٢) قال علية السلام: الحكمة ضالة المؤمن يأخذها عن سمعها ولا يبالي من أي وعاء خرجت. وقال علية الصلاة والسلام: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم. وقال الحُكماء: لا يطلب الرجل حكمة إلا بحكمة عنده، وقالوا الحكماء:عليكم بثلاث:جالسوا الكبراء،وخالطوا الحكماء، وسائلوا العُلماء[العقد الفريد- ابن عبد ربه حـ٢صـ٢٥٤،٢٥٦]

(٣) المصدر السابق-صـ٢٥٤.

(٤) المصدر السابق-صـ٣٥٨.

٢- عندما يصبح المُعلم متمسكاً بحسن الهيئة، يجعله قادراً علي إعادة البنـــاء التعليمـــي والنمو الاجتماعي، في مجتمع له ثقافته وتاريخه التربوي العريق.

٣- يصبح النسق التربوي قادراً علي تطبيق الوسيلة العملية لتحقيق المُثل العليا.

إن المربي الذي لا يكون قدوة لطلاب في عقيدته وخلقه وسلوكه، لا يمكن أن ينجح في تربية شخصياتهم المتكاملة وحسن الهيئة من أهم أركان آداب العالم في درســـه ويـــتم ذلك عن طريق التطَّيْبْ وليس أحسن الثياب، وإخلاص النية لله سبحانه وتعالي حيث يقول ابن جماعه «إذا عزم علي مجلس التدريس تطَّهر من الحَدَث والخُبث وتنظَّـــف وتطَّيـــب ولبس من أحسن الثياب اللائقة به بين أهل زمانه، قاصدا بذلك تعظـــيم العلـــم وتبجيـــل الشريعة. كان مالك رضي الله عنه إذا جاءه الناس لطلب الحديث اغتسل وتطيب ولـــبس جدداً، وضع رداءه علي رأسه ثم جلس علي منصة فلا يزال يبخر بالعود حتـــى يفـــرغ وقال: أحُّب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ثم يصلي ركعتي الاستخارة إن لم يكن وقت كراهة وينوي** نشر العلم وتعليمة وبث الفوائد الشرعية، وتبليغ أحكام الله تعـــالي التـــي ائتمن عليها وأمر بتبيانها»[١]

يؤكد زين الدين العاملي علي الطهارة والتطيب في مجلس الدرس، لتـــوقير العـــالم حيث يقول«أن لا يحضر مجلس الدرس إلا متطهراً من الحدث والخبث متنظفاً متطيباً في بدنه وثوبه،لابساً أحسن ثيابه،قاصداً بذلك تعظيم العلم وترويع الحاضرين مـــن الجلســـاء

(**) وينوي: في محل النية.

(")اعلم أن النية هي: نوع من الإرادة كما تقدم، والإرادة وأنواعها، والعلم والظن، والشك. والخوف. والرجـــاء. وجميع ما ينسب إلي القلب من الأعمال- هو قائم بالنفس.قال المازري في شرح التلقين: أكثر الفقهاء وأقـــل الفلاسفة: علي أن العقل في القلب، وأقل الفقهاء في أكثر الفلاسفة علي أنه في الدماغ، محتجـــين: بأنـــه إذا أصاب الدماغ آفه فسد العقل، وبطلت العلوم والأنظار والفكر وأحوال النفس.[الأمنية فـــي إدراك النيـــة- القرافي- دار الكتب العلمية صـــ١٧]

(١) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم-ابن جماعه- صـــ٨٣

والملائكة،سبحان أن كان في مسجد وجميع ما ورد من الترغيب في ذلك لمطلق النـــاس. فهو في حق العالم والمتعلم آكد»[١].

يحذرنا الآجري من التقرب إلي مجالسة الملوك حيث يقول«قال محمد بن الحســين: هذه الأخلاق وما يشبهها تغلب علي قلب من لم يتنفع بالعلم، فبينـــا هـــو مقـــارن لهـــذه الأخلاق** إذا رغبت نفسه في حب الشرف والمنذله وأحب مجالسة الملوك وأبناء الـــدنيا فأحب أن يشاركهم فيما هم فيه من راضي عيشهم من منزل بهي ومركب هـــي وخـــادم سري ولباس لين و فراش ناعم وطعام شهي، وأحب أن يُغشي بابه ويُسمع ويُطاع أمـــره فلم يقدر عليه إلا من جهة القضاء مطلبه، ولم يمكنه إلا ببذل دنيه فتذلك للملوك ولأتباعهم وخدمهم بنفسه وأكرمهم بماله ومكث عن قبيح ما يظهر من مناكبرهم علي أبوابهم وفـــي منازلهم وقولهم وفعلهم، ثم زين لهم كثيراً من قبيح فعالهم بتأويله الخطأ ليحســـن موقعـــه عندهم»[٢].

هذا العالم الذي أستفاد منه النبي ﷺ وأمر أن يستعاذ منه هذا العالم الـــذي قـــال النبي ﷺ« إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه».

والبعد عن السلطان يجعل المُعلم بمحور واحد هو الإنسان بفكره، والإنسان بتكوينه، والإنسان بإنتاجيته ومن ثم يخدم الأطفال في تحقيق سعادته التربوية في الحياة، فها هنـــا

(١) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد– زين الدين العاملي– مصدر سابق صـــ١٥٤.

(**) الأخلاق:في اللغة جمع خلق وهو العادة والسجية والطبع والمروة، والدين وعند القدماء ملكة تصدر بهـــا الأفعال عن النفس من غير تقدم روية وفكر وتكلف تغير الراسخ من صفات النفس لا يكون خلقـــاً كغضـــب الحكيم، وكذلك الراسخ الذي تصدر عنه الأفعال بعسر وتأمل،كالبخيل إذا حاول الكرم، وقـــد يطلـــق لفـــظ الأخلاق علي جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة[المعجم الفلسفي د. جميل صـــليبا حـــ١ صـــ٤٩]

(٢) أخلاق العلماء –الآجري صـــ٧٥

(*) «في بيان حاجة السلطان إلي العلم: وشخص بلا علم كبلد بلا أهل، وأفضل ما فـــي الســـلطان خصوصـــاً والناس عموماً محبة العلم والتحلي به، والشوق إلي استماعه، والتعظيم لحملته، فإذلك دليل علي قوة الإنسان فيه، وبعده من البهيمة، ومضاهته للعالم العلوي، وهو من أوكد ما يتحبب به إلي الرعية وإذا كان الملك خاليا من العلوم ركب هواه، وأخبر برعيته،كالدابة بلا رسن» [سراج الملوك– الطرطوشي–صـــ١٩٣]

يأتي دور المُعلم الحقيقي في تربية الأطفال من أجل أن يصبحوا في المستقبل علماء وأدباء وشعراء.

استعرضنا فيما سلف ذكر عن أهمية فضيلة العلم، والفضائل والرذائل التي تسمك بها المعلم، والشروط الواجب توافرها في الابتعاد عن العجب، الغرور، وتجنب مواطن الشبهة والآن نتحدث عن تجنب المعلم السلطان:

الحذر من أصحاب السلطان:

وقد تناول كثير من العلماء والأدباء تقرَّب العلماء من السلطان فألف المقرئ كتاب« تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء» تحقيق د.محمد علي المرصفي.

و«نبه العلماء علي خطر تعامل أهل العلم مع أصحاب السلطان، وقد حفل تاريخنا بصور كثيرة لهذا الرفض، فقد رفض الكثير منهم الدخول علي هؤلاء في بلاطاتهم، ورفضوا قبول أعطياتهم، وهداياهم، كما رفضوا قبول العمل في الوظائف التي أرادوها لهم مثل القضاء وغيره»[١]

علاقة العلماء لأصحاب السلطة:-

وعن علاقة العلماء بأصحاب السلطة يقول د. محمد منير سعد: موقف العلماء من السلطة: ويري أن الفقيه قد يبرر التردد علي أبواب السلاطين أنه لاعزاز الحق ولنصرة الدين والغرض من الأغراض الصحيحة[٢]

لذلك فإن من يستقرئ كتب التراث وخاصة التراجم يلفت نظرة تلك المواقف من السلطة الحاكمة سواء كانت مع أو ضد فيقول ابن خلدون «في أن العلماء من بين البشر

(١) أخلاقيات المهنة في الحضارة الإسلامية د. موفق سالم نوري- دار ابن كثير -دمشق -سوريا- الطبعة الأولي- ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .صـ٢١٨.

(٢) العلماء عند المسلمين مكانتهم ودورهم في المجتمع د. محمد منير سعد الدين دار المناهل بيروت- لبنان- الطبعة الأولي ١٤١٢هـ ١٩٩٢ م.صـ٨٧.

أبعد عن السياسة و مناهجها والسبب في ذلك أنهم معتادون النظر الفكري والغرض علي المعاني وانتزاعها من المحسوسات»[١]

تمسك النفس بالفضائل يبعدها عن السلاطين:

ومن شروط طلب العلم أن يتمسك العالم بعفة النفس لأنها تبعده عن الملوك السلاطين، فيقول العاملي: «أن يكون عفيف النفس عالي الهمة، منقبضاً عن الملوك وأهل الدنيا، لا يدخل إليهم طمعاً، ما وجد إلي الفرار منهم سبيلاً صيانة للعلم كما صانه السلف، فمن فعل ذلك فقد عرض نفسه وخان أمانته»[٢].

ونلاحظ أن العلم هو الذي يهذّب الملوك والسلاطين من خلال قول العلماء وتأثيرهم بالمواعظ والحكم والعبرة للملوك فيجعلوهم يحبون الله، ويتمسك بأفضل الأعمال حيث يقول بعض الفضلاء«قال بعض الفضلاء لبعض الإبدال: ما بال كبراء زماننا وملوكها لا يقبلون منا ولا يجدون للعلم مقداراً، وقد كانوا في سالف الزمان بخلاف ذلك؟ فقال: أن العلماء ذلك الزمان، كان يأتيهم الملوك والأكابر وأهل الدنيا فيبذلون لهم دنياهم ويلتمسون منهم علمهم، فيبالغون دفع وردّ منهم عنهم فصغرت الدنيا في أعين أهلها. وعظم قدر العلم عندهم، نظراً منهم إلي العلم لولا جلالته ونفاسته، وما آثره هؤلاء الفضلاء علي الدنيا، ولولا حقارة الدنيا وانحطاطها لما تركوها رغبة عنها ولما أقبل علماء زماننا علي الملوك وأبناء الدنيا»[٣]

ويحذرنا الرسول ﷺ من أتباع السلطان«وسمعت جملة من الأخيار في ذلك سابقاً،كقول النبي(ص)الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا. قيل يا رسول الله: وما دخولهم في الدنيا؟ قال: أتباع السلطان. فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم علي دينكم، واعلم أن القدر المذموم من ذلك، ليس هو مجرد اتباع السلطان كيف اتفق، بل أتباعه ليكون توطئة

(١) الفكر التربوي عند ابن خلدون د. عبد الأمير شمسي الدين– مصدر سابق صـ١٧٧.

(٢) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد –العاملي صـ١٤٤.

(٣) المصدر السابق– نفس الصفحة.

له،ووسيلة إلي ارتفاع الشأن، والترفع علي الأقران، وعظم الجاه والمقدار، وحب الدنيا والرياسة»[1]فتدبر يا أخي هذا الكلام النفيس، وما قلناه يجده صريحاً في ذم الكبر ونحوه من الأمراض الباطنة:كالحسد، والعجب، والرياء، وسوء الظن، بأحد المسلمين، وحب الدنيا، وأن العبد لا فعل له ولا قول ، بل ذلك كله من الله تعالي.

أهمية مطالعة كتب التراث:-

«وهناك مواقف كثيرة في كتب التراث تبين موقف العلماء من السلطة* وهي ما يلي:

١- رفض قبول وظائف السلطة

٢- رفض عطاءات السلطة

٣- رفض مبدئية للعلماء ورفض تدخل الحكام بشؤون العلماء وعدم محاباة الحكام.

٤- عدم الدخول علي السلاطين والحكام وعدم احترامهم في مواقف معينة.

٥- موقف العلماء من الحكام أو أبنائهم في مجالس الدرس.

٦- مجالس الوعظ للخلفاء ورسائل النصائح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧-مشاركة العلماء لرجال السلطة بالمناسبات وتقديم الهدايا واعتناق أفكارهم» [2]

ويجوز التردد علي الملوك من أجل مصلحة العلوم، وليس لمناصب دنيوية فيقول ابن جماعه«وعلي هذا يُحمل ما جاء عن بعض أئمة السلف في المشي إلي الملوك وولاة الأمر كالزهري والشافعي وغيرها.لأعلي أنهم قصروا بذلك فضول الأغراض الدنيوية

---

(١) المصدر السابق- نفس الصفحة.

(*) «ليس أحد من أهل الدرجات السنية ، والمراتب العلية، أحوج إلي مجالسة العلماء وصحبة الفقهاء ودراسة كتب العلوم والحكم، ومطالعة دواوين العلماء، ومجامع الفقهاء، وسير الحكماء من السلطات دائما كان ذلك من وجهين: أحدهما: أنة نصب نفسه للمارسة أخلاق الناس، وفصل خصوماتهم وتعاطي حكوماتهم ، وكل ذلك إلي علم يارع، ونظر ثاقب ، وبصيرة بالعلم قوية.[سراج الملوك –الطرطوشي صـ ١٩٣،١٩٤]»

(٢) العلماء عند المسلمين مكانتهم ودورهم في المجتمع د. محمد منير سعد- مرجع سابق –صـ ٩٢

وكذلك إذا كان المأتي إلية من العلم والزهد في المنزلة العلية والمحل الرفيع فـــلا بـــأس بالتردد إلية لإفادته»[١].

أهداف الرياسة العظمي:

ويجب معرفة قصد الرياسة ألا و هي حفظ الشرع والعلم فيقول الإمـــام الغزالـــي «وقد جعل الله تعالي قصد الرياسة من تعلم العلم، حفظاً للشرع والعلم، ويجري تحريض المتعلمين علي العلم بالإطماع في الرياسة وحسن الذكر، مجري الحَّب يبث حول القمـــح، والملواح المقيد علي الشبكة، ومجري شهوة الغذاء والنكاح التي خلقها الله داعية إلي الفعل الذي فيه بقاء الشخص والنوع»[٢]

ومن يتردد من العلماء إلي الظلمة الحكام فهو في النار- يقول نـــور الـــدين علـــي المنير«يتَرَددَّونَ إلي الظَلَمةِ الحُكَّام، ويظهرون أنهم هم العلماء الأعلام، وأن من ســـواهم من الأقران، سفلة وأرازل وأعوام كأنهم ما سمعوا قول العارف الإمام: من حفظ القرآن وشيئا من الفقة، وتردد إلي السلطان، تملقاً إلية، وطمعاً فيما في يديه خاص في جهنم بقدر خطاه. وسيأتيك ما قاله حجة الإسلام في مصونه زمانه فهو برهان ما قلتاه ودليل عنوانه.

مجيُبُ لأهل العلم كيف تغافلوا عن الدين واستغشوا ثياب المهالك

يطوفون حول الظالمين كأنما يطوفون حول البيت وقت المناسك»[٣]

علماء شرفوا التاريخ في بعدهم عن السلطان وحبهم للعلم:

وهناك نماذج كثيرة من العلماء تشير سيرتهم إلي الحذر من أصـــحاب الســـلطان فعلي سبيل المثال«العز بن عبد السلام»***(٥٧٧-٦٦٠-١١٨١: ١٢٦٢م) ويلقب بسلطان

(١) ابن جماعة – تذكرة السامع المتكلم في آدب العلم والمتعلم –مصدر سابق صـــ٧٢

(٢) ميزان العمل – الإمام الغزالي- مصدر سابق صـــ٣٦٦.

(٣) كشف اللبس عن دسائس النفس- نور الدين علي المنير ،تحقيق د. سعيد عبد الفتـــاح – الـــدار المصـــرية اللبنانية –الطبعة الأولي ١٤١٠- ١٩٩٠ صـــ٥١

(***) العز بن عبد السلام « الشيخ عز الدين بن عبد السلام بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن حسن أبي محمد بن مهذب السلمي أبو محمد شيخ الإسلام- سلطان العلماء ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة وتفقـــه

العلماء "بائع الملوك" «بلغة مرة أن غالب الأمراء الأكابر إلي الآن في الرق لـم تعـتقهم ساداتهم فقال: كيف يحكم هؤلاء بين الناس؟ فطلع إلي السلطان وقال: كل من لـم يأتنـا بعتاقته. بعناه ووضعنا ثمنه في " بيت المال" فباع منهم جماعة ونادي عليهم في الديوان ثم أعتقهم السلطان فاجتمعوا علي قتله وجاؤوا بالسلاح ووقفوا علي بابه، فخرج إليهم فوقـع السلاح من أيديهم هيبة منه، فقال له ابنه الحمد لله الذي لم يقتلوك فقال: فقال والدك أحقر من أن يقتل في إقامة دين الله تعالي»[١]

من النص السابق نجد أن سلطان العلماء لم يهتم بالسلطان ولا يخاف من لومة الله لائم نظراً لنشر دين الله تعالي والاهتمام بنور العلم، ومن خوف السلطان من عز الدين بن عبد السلام عندما مات قال السلطان «ولما بلغ السلطان خبر وفاته قال: لم يستقر ملكي إلا الساعة، لأنة أمر الناس في بما أراد لبادور إلي أمتثال أمره»[٢]

المميزات العلمية والفقهية للعز بن عبد السلام:

وسلطان العلماء رفض عطاءات السلطة خوفاً علي قيام دين الله تعالي، والـدليل علي ذلك عندما كان مريضاً بمصر أرسل إلية الملك الظاهر حاكم مصر رسالة من أجل أن يوظف أحدا أبنائه فرفض العز بن عبد السلام: «ثم اعتزل ولزم بيته. ولمـا مـرض أرسل إلية الملك الظاهر يقول: أن في أولادك من يصلح لوظائفك قال:لا»[٣]

علي الفخر بن عساكر وأخذ الأصول علي السيف الآمدي، وبرع في الفقة والأصول والعربية ، وقدم مصر فأقام بها أكثر من عشرين سنة، ناشرا العلم أمراً بالمعروف ناهياً علي المنكر، يغلظ علي الملوك فمن دونهم، تولي القضاء المصري- ومن مؤلفاته قواعد الأحكام في مصالح الأنام، قواعد الشريفة والفوائـد، التفسـير الكبير، بداية السول في تفضيل الرسول[الطبعة الأولي-١٤١٨هـ=١٩٩٧م.حـ١ صـ٢٧٢، السلوك لمعرفة دول الملوك- المقريزي صـ ٤٥٤، الأعلام ٤/٢١،فوات الوفيات ٢٨٧/١ ،السـبكي ٨٠،١٠٧/٥، مفتـاح السعادة ٢١٢/٢]»

(١) جامع كرامات الأولياء:يوسف بن إسماعيل النبهاني-المكتبة العصرية- صـيدار-بيـروت الطبعـة الأول ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.حـ٢.صـ١٦١.

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية-لأبن قاضي شهبة- تحقيق د.علي محمد عمر- مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة -د ت طبعة ونشر- صـ٤٣٠.

(٣) الاعلام-خير الدين الزركلي -دار العلم للملايين -الطبعة العاشرة ١٩٩٢م.حـ٤.ص،٢١.

«فهذه هي المعرفة اليقينية التي بها يقنع أولوا الألباب وأهل البصائر، ولا يقنعون بغيرها البتّه. وهم إذا عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول وصدق القرآن.وفهموا موازين القرآن ،كما ذكرت لك، وأخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين»[١]

إذن الحذر من أصحاب السلطان عن طريق رفض قبول وظائف السلطة كما فعل العز بن عبد السلام هذه هي المعرفة اليقينية لمفاتيح العلوم.

شروط البعد عن السلطان:-

ومن شروط الحذر من السلطان قوة الإرادة في نشر الإيمان وإعلاء كلمة الله، قوة الإرادة شئ هام وضروري للمُعلم لكي يهتم بالعلم وماهيته فيقول د. أحمد أمين عن قوة الإرادة«تعني بالإرادة القوية إرادة تنفذ ما قصدت إلية مهما كلفها من المشاق، لا تحجم أمام العقبات تعترضها وإنما تبذل ما في وسعها لتذليلها، لا شئ أصعب عندما من عدولها عن قصدها»[٢]

«والعلم عندما يتمسك بقوة الإرادة والبعد عن السياسة والسلطان تكون هي سر النجاح في الحياة وهي عنوان عظماء الرجال إذا أزمعوا أمراً لم يثنهم شئ وإذا تجنبوا العلماء الحذر من أصحاب السلطان من أجل مصلحة العلم والعلوم الشرعية هذا ما يسمي الحكم الأخلاقي وخلاصته:

١- أن الحكم الأخلاقي* ينمو في العادة إلي القانون ثم يتابع نموه إلي أن يصل إلي المبادئ المبنية علي النظر.

---

(١) القسطاس المستقيم-الغزالي-تحقيق فيكتور شلحت-المكتبة الشرقية- بيروت- لبنان- الطبعة الثالثة- ١٩٩١. صـ٩٢.

(٢) الأخلاق د.أحمد أمين- المركز الإسلامي-للطباعة والنشر -الطبعة العاشرة ١٩٨٣- ص،٤٠

(*) « والحكم الخلقي عند ابن سحنون والقابسي يشمل الحياء

يقول الشاعر وجه عليه من الحياء سكينة ومحبة تجري مع الأنفاس

وإذا أحب الله يوماً عبده ألقي عليه محبة للناس

وقال الجارود: سوء الخلق يفسد العمل، كما يفسد الخل العسل» العقد الفريد- ابن عبد ربهح حـ٢ صـ٣١٥،٣١٦.

٢- الحكم الأخلاقي يتدرج من حكم علي الأعمال الخارجية وحدها إلي أن يصل إلي حكم الخلق وعلي الأغراض والبواعث الداخلية.

٣- الحكم الأخلاقي ينمو من عادات تكونت في بيئة خاصة إلي مبادئ عامة صالحة لكل أمة وفي جميع الأحوال» (١)

وإذا كان القادة علي اختلاف مستوياتهم يتخذون القرار، ويقودون الأمة في الطريق الواضح ودون هوي وهنا التكامل ويتم الإنسجام، فلابد إذن من تربية القادة والعلماء، وأتاحة الفرصة للعالم أن يعيش.

ومن الجدير أن السلاطين يعظمون المُعلم لأنة الأب الروحاني لهم فكيف بالمعلم يقترب منهم حباً في المال والجاه والسلطة؟ وهناك بعض الملوك يوقر ويحترم المُعلم لذلك يقول زين الدين العاملي«وقد سئل الاسكندر ما بالك توقر معلمك أكثر من والدك؟ فقال لأن المُعلم سبب لحياتي الباقية، والدي سبب في حياتي الفانية. وأيضاً لم يقصد الوالد في الأغلب في مقاربة والدته وجوده، ولا كمال وجوده،أنما قصد لذة نفسه فُوجدهم ،علي تقدير قصده لذلك، فالقصد المقترن بالفعل أولي من القصد الخالي عنه،وأما المعلم فقصد تكميل وجوده وسببه وبذل فيه جهده، ولا شرف لأصل الوجود إلا بالإضافة إلي العدم، فإنه حاصل للديدان والخنافس، وإنما السبب في كماله، وسببه المعلم»(٢)

وهناك أدلة من العلماء تبرهن علي تجنب السلطان احتراماً للمعلم وتوقيره وهذا ما حدث مع الخليفة العباسي من السيد الرضي قدس الله روحه حيث يقول العاملي«وقد روي السيد الرضي قدس الله روحه كان عظيم النفس، عالي الهمة أبّي الطبع لا يقبل لأحه منّة. وله في ذلك قصص غريبة مع الخليفة العباسي حين أراد صلته بسبب مولود وله وغيره»(٣)

---

(١) المرجع السابق-صـ١١٥.

(٢) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد- زين الدين العاملي -مصدر سابق صـ١٩٧.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

لذلك وجب علي العلماء تجنب السلطان والجاه والاعتراف بقيمة العلم، لأن العلم يحرصه وهو الذي يحرص المال، والمعلم هو الأب الروحاني للعلم فيجب أن يحافظ علية، ولا يتناول غرور الحياة الدنيا فيقول العاملي«ومنها أن بعض مشايخه قال له يوماً: بلغني أن دارك صيغة لا تليق بحالك، ولي دار صالحة لك قد وهبتها لك فانتقل إليها،فأبي،فأعاد علية الكلام، فقال:يا شيخ أنا لم اقبل برَّ أبي قط،فكيف اقبل من غيرة؟ فقال له الشيخ:أن حقي عليك أعظم من حق أبيك لأن أبوك الروحاني وهو أبوك الجسماني.فقال السيد (رة) قد قبلت الدار. ومن قال بعض الفضلاء: من علم العلم كان خير أب، ذاك أبو الروح لا أبو النطق»[1]

فيما مضي تحدثنا عن شروط الحذر** من السلطان خوفاً من الأغراض الدنيوية والبعد عن روح العلم وروح الأخلاق للعالم والمتعلمين، ونتحدث الآن عن تجنب العالِمْ الجاه والمال والسمعة والشهرة حفاظاً علي فضيلة العلم والعلماء وفضيلة التواضع لله في سرة وعلانيته ولابد أن يحترس من نفسه ويقف ضدها وفجورها حتى يصبح متمسكاً بآداب العلم حيث يقول ابن جماعه «أن ينزه علمه عن جعله سُلَّماً يتوصل به إلي الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعه أو شهرة أو خدمة أو تقدم علي أقرانه. وقال الإمام الشافعي(رص) وددت أنَّ الخلق تعلَّموا هذا العلم علي ألاَّ ينسب إليَّ حرف منه. وكذلك يُنزَّهه عن الطمع في رفق طلبته،بمال أو خدمة أو غيرها بسبب اشتغالهم وترددهم إلية.كان منصور لا يستعين بأحد يختلف إلية في حاجة»[2] وقال علية السلام: «اثنان إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا، فسد الناس،الأمراء والعلماء»فقال العلماء يوضحون

(١) المصدر السابق صـ١٩٨

(**) قال أيقراط: من صحب السلطان فلا يجزع من قسوته،كما لا يجزع الغواص من ملوحة البحر.

(٢) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العلم والمتعلم- في آدب العالم في نفسة مصدر سابق- صـ٧٣.

الطريق ويحلون المواقف، وينصحون بالبدائل الممكنة والمتاحة، والأمراء أي القادة علي اختلاف مستوياتهم يتخذون القرار[١]

وعلي المُعلم أن يحافظ علي الأحكام الإسلامية والبعد عن السلاطين حيث يقول ابن جماعة«أن يحافظ علي القيام بشعائر وظواهر الأحكام كإقامة الصلوات في المساجد للجما عات وإفشاء السلام للخواص والعوام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر علي الأذى، بسبب ذلك صادعاً بالحق عند السلاطين، باذلاً نفسه لله لا يخاف فيه لومه لائم ذكراً قولة تعالي﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[٢] وما كان سيدنا رسول الله ﷺ وغيرة من الأنبياء علية من الصبر علي الأذى، أو ما كانوا يتحملونه في الله تعالي حتى كانت لهم العقبي»[٣].

وحدثت واقعة علمية تعبر عن الاهتمام بالعلم والبعد عن أولاد الخليفة وهي«حضر بعض أولاد الخليفة المهدي عند شريك فاستند إلي الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت إلية شريك،ثم أعاد شريك بمثل ذلك فقال أتستحي بأولاد الخلفاء؟ قال: ولا ولكن العلم أجل عند الله من أن أضيعة. ويروي: العلم أزين عند أهلة من أن يضيعونه»[٤]

ويؤكد ابن الأزرق الفقيه التربوي علي بعد العلماء عن السياسة ويعلل ذلك ببراهين واضحة حيث يقول«إن العلماء من بين الناس أبعد عن السياسة ومذاهبها وذلك لأمرين: أحدهما:أنهم يعتادون النظر الفكري والغوص علي المعاني الدقيقة وانتزاعها من المحسوسات وتجريد ما في الذهن أمور كلية يحكم عليها بأمر علي العموم، لا بخصوص مادة أو شخص أو جنس أو صنف من الناس»[٥]

---

(١) أئمة التربية في الوطن العربي د.أسحاق أحمد فرحات –دار الفرقان–عمان الأردن الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م صـ١٥.

(٢) سورة لقمان آية:١٧

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم–ابن جماعة– مصدر سابق–صـ٧٤

(٤) المصدر السابق–صـ١١٧

(٥) بدائع المسالك–ابن الأزرق– منشور في كتاب الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق– د. عبد الأمير– الشركة العالمية للكتباب– الطبعة الأولي ١٩٩١ صـ ٢٥٦،٢٥٧.

والأمر الثاني «أنهم يقيسون الأمور علي أشياهما بما اعتادوا من القياس الفقهي فلا يزال حكم نظرهم في الذهن ولا يصير إلي المطابقة إلا بعد الفراغ من البحث والنظر»[١]

ومن شروط البعد عن السلطان عن ابن سحنون التربية الإيمانية وعظيم أثرها ترسيخ العقيدة، وتصحيح الفكر وتذكية النفس، وترقية السلوك، وتحقيق إنسانية الإنسان.

ويؤكد ابن سحنون علي أن يعلم القرآن يجعل المعلم يبتعد عن رذيلة النفاق حيث يقول:" عن سحنون ، عن عبد الله بن عبد الله بن نافع قال: حدثني حسين، عن عبد الله ابن حمزة عن أبية عن جده عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: عليكم بالقرآن فإنه ينفي النفاق كما تنفي النار خبث الحديد"[٢]

ويقول ابن سحنون أيضاً عن بعض الرذائل التي يتجنبها المعلم من خلال الأحاديث النبوية الشريفة: " حدثني عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : شرار أمتي معلمو صبيانهم، أقلهم رحمه لليتيم وأغلظهم علي المسكين" [٣].

ويتناول القابسي بعض الرذائل التي يتخلي عنها مثل القاسي القلب ويشتسهد بالأيات القرأنية حيث يقول:" فبين أيضاً أن الإسلام هو ما انشرح الصدر إلية وأما ما ضاق الصدر عن قبوله، ونفر منه عند سماعه، فصاحبة غير مؤمن، فقامت كلمة الإيمان مقام كلمة الإسلام وكذلك قوله: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ [الزمر:٢٢]" [٤].

---

(١) المصدر السابق- صـ٢٥٧

(٢) آداب المعلمين – ابن سحنون – صـ٣٥١.

(٣) المصدر السابق – صـ٣٥٤.

(٤) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين – القابسي – صـ٢٦٨.

" تعقيب "

لقد وجدنا من خلال استعراضنا للأخلاق والسلوك عند المعلم وهذا ما يسمي في هذا الفصل«أخلاقيات مهنة المُعلم» ويتم تطبيق أخلاقيات المُعلم من حيث مراقبته لله سبحانه و تعالي، ومراعاة ضميره الخلقي،لأن الضمير الخلقي هو حال للنفس تحكم بوساطتها علي الخير والشر من الأعمال والنيات وهو القاضي المسموع الحكم، والضمير الخلقي عند المُعلم ينقسم إلي قسمين: قسم إيجابي، وهو قبل الفعل من الإنسان، والقسم الآخر عاطفي، ولا يظهر آثره إلا بعد الوقوع.

يجب علي المعلم أن يربط بين الدين الإسلامي وبين جانب العقيدة منه، وذلك يبدوا واضحاً من خلال القرآن الكريم، والسنة المطهرة، فإن مقتضي الإيمان بالله تعالي أن يكون المؤمن ذا خلق محمود، وإن الأخلاق السيئة دليل علي عدم وجود الإيمان.

ومن خلال النصوص السابقة في هذا الفصل وجدنا انتشار الكتاتيب، لنشر العلم والأخلاق الحميدة، والكتاتيب من أهم الوسائل التعليمية لتلقي الدروس ويصبح المعلم يؤدي رسالته من خلال الكتَّاب، والطبق الحديث«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وعلي المعلم أن ينشر الأوامر الإلهية والعلمية التطبيقية في كل خطوة من خطوات الحياة التربوية والتعليمية.

من أهم الفضائل التي يتمسك بها المعلم في المنهج التربوي، التمسك بفضيلة الرحمة لأنها من أخلاق الإسلام وهي تعني العطف والشفقة، والحنان والرقة، والرفق والمودة، واللين والرأفة، وهذه الفضيلة يستخدمها المعلم في تربية الأطفال، وفي تطبيق العقوبات.

وهذا ما أشار إلي ابن سحنون والقابسي، ويقول الله تعالي﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب/٤٣]ومن الواجب علي المعلم التمسك بفضيلة الصدق، والصدق إخبار الإنسان بما يعتقد أنه الحق، والصدق: مطابقة القول الضميرة والمخبر عنه معاً، ويقول الله تعالي: ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾[سورة التوبة آية١١٩]، ويجب علي المعلم أن يتمسك بالصدق لأنه القدوة والمثل الأعلى للأطفال.

بعد تمحيص وتفحيص النصوص المستخدمة في أخلاقيات المهنة وجدنا شروط مهمة لابد أن يتمسك بعا المعلم وهو ما يلي:

١- التمسك بالصبر لأنة زمام سائر الخصال، وزعيم الغُنم والظُّفر، وملاك كل فضيلة، وبه ينال كل خير ومكرمة، قال الله تعالي﴿إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[سورة الأعراف آية٣٧].

٢- التمسك بالفضائل والبعد عن الرذائل. ٣- البعد عن الكبر والعجب والخيلاء.

٤- تجنب مواطن الشبهة والتهمة. ٥- التمسك بحسن الهيئة.

٦- البعد والحذر من أصحاب السلطان.

والتمسك بالصبر فضيلة، والحكمة عند ابن سحنون من ذلك هو بعد المعلم عن الغضب حتى لا يعاقب المتعلم لأن العقوبة ليست ضرورة لكل شخص، فقد يستغني شخص بالقدوة وبالموعظة فلا يحتاج في حياته كلها إلي عقاب، حيث يقول ابن سحنون عن حكمة الصبر: «قال محمد: وإنما ذلك لأنة يضربهم إذا غضب»(١).

ويقول أيضاً: «وقد قال بعض أهل العلم: إن الأدب علي قدر الذنب»(٢).

ويجب علي المعلم التمسك بالفضائل والبعد عن الرذائل لأنه قدوة وأسوة حسنة لأطفال لذلك وجب تعليمهم الأدب من خلال أخلاقه الكريمة حيث يقول: «وليعلمهم الأدب فإنه من الواجب لله علية النصيحة وحفظهم ورعايتهم»(٣).

وعن فضيلة الصبر يقول القابسي قال الله تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِين﴾ [سورة البقرة: آية ١٥٣].

ويجب علي المعلم التمسك بالاستقامة والبعد عن غرور الحياة الدنيا حيث يقول القابسي: "فالاستقامة هي القيام بما أمر الله به"(٤).

---

(١) آداب المعلمين – ابن سحنون – صـ ٣٥٤.

(٢) المصدر السابق صـ ٣٥٥.

(٣) المصدر السابق – صـ ٣٥٨.

(٤) الرسالة المفضلة لأحوال المتعلمين – القابسي صـ ٢٧١.

" مصادر ومراجع "

القرآن الكريم

- صحيح البخاري

- صحيح مسلم

- ابن ماجة

* أبجد العلوم- القنوجي -دار ابن حزم -بيروت – الطبعة الأولي ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
* أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية- تأليف نخبة من الأساتذة -الناشر منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) الهيئة العامة للكتاب – ١٩٧٠م.
* أخلاق العلماء- الآجري -تحقيق د.أحمد عبد الرحيم السايح-الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – الطبعة الأولي- ١٩٩١م- ١٤١١هـ.
* أخلاق المسلم وعلاقته بالمجتمع د. وهبة الزحيلي د.ت الطبعة الخامسة ٢٠١٢م- ١٤٣١هـ.
* إرشاد القاصد إلي أسني المقاصد في أنواع العلوم- الأكفاني – تحقيق عبد المنعم محمد عمر – دار الفكر العرب -القاهرة- د.ت سنة الطبعة والنشر.
* الأخلاق والسير في مداواة النفوس -ابن حزم الأندلسي- مطبعة السعادة – د.ت
* التربية الإسلامية- نظمها -وفلسفتها- تاريخها د.أحمد شلبي – مكتبة النهضة المصرية -القاهرة -الطبعة السابقة – ١٩٨٢م.
* التفكير فريضة إسلامية أ.عباس محمود العقاد -نهضة مصر-القاهرة .د.ت ط.٢٠٠١م.
* الذخيرة-الأمام القرافي -تحقيق د.محمد صبحي – دار الغرب- الإسلامي حـ١.
* الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين – القابسي في كتابه التربية في الإسلام – د. أحمد فؤاد الأهواني – دار المعارف بمصر – الطبعة السادسة سنة ٢٠٠٢.

* الشكوك علي بطليموس- الحسن بن الهيثم- تحقيق د. عبد الحميد صبر وآخرون مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة – د.ت
* العقد الفريد- ابن عبد ربه-حـ٢- أحمد أمين- الطبعة الثانية- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م.
* القانون في الطب –ابن سينا شرح وترتيب أ.جبران جبور- مؤسسة المعارف- بيروت د.ت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
* المبادئ الأخلاقية في التربية –جون ديوي – ترجمة عبد الفتاح السيد هلال- الدار المصرية للتأليف والترجمة – بدون طبعة.
* المشوق إلي القراءة وطلب العلم- د.علي بن محمد العمران –الطبعة السابقة- الدار العصرية للنشر ١٤٣٥هـ - ٢٠١٥م.
* تاريخ آداب العرب – مصطفي صادق الرافعي – دار الكتاب العربي – بيروت – حـ١ – ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
* تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمة د. عبد الحليم منتصر – دار المعارف- القاهرة- الطعبة الثامنة ١٩٩٠م.
* تاريخ العلوم عند العرب د.كمال حموده –دار الفكر اللبناني –بيروت- لبنان- الطبعة الأولي ١٩٩٠م.
* تاريخ الفلسفة في الإسلام دي بور –ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده- دار العرب للدراسات والنشر والترجمة ٢٠١٣م.
* تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم- ابن جماعة مخطوط منشور في كتاب الفكر التربوي عند ابن جماعة د. عبد الأمير الأعسم- دار المكتاب العالمي- الطبعة الأولي ١٩٩٠م.

* تراث الإسلام- شاخت وبوزورث – ترجمة د. محمد زهير السمهوري- المجلس الوطني للثقافة والفنون- الكويت –حـ١-١٩٧٨م.
* تراث العرب العلمي في الرياضيات- والفلك- قدري حافظ طوفان –دار العلم بالقاهرة الطبعة الثالثة ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م.
* رسالة آداب المعلمين – ابن سحنون – في كتابه التربية في الإسلام – د. أحمد فؤاد الأهواني – دار المعارف – الطبعة السادسة – بمصر سنة ٢٠٠٢م.
* رسالة المسترشدين- المحاسبي- تحقيق عبد الفتاح غدة- دار السلام-القاهرة- الطبعة العاشرة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
* علم النفس التربوي د. عبد المجيد سيد أحمد منصور وآخرون – العبيكان – الأردن – الطبعة الخامسة – ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
* فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال –ابن رشد –تحقيق د. محمد عمارة- القاهرة- دار المعارف ١٩٧٢م.
* مختار رسائل جابر بن حبان – عني بتصحيحها ب كراوس- مكتبة الخانجي –القاهرة ١٣٥٤هـ -١٩٣٥م.
* مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة- ابن قيم الجوزية –تحقيق هاني الحاج- دار التوفيقية للتراث – القاهرة- د.ت طبعة ونشر.
* منهاج العلم- الإمام الغزالي- مخطوط ضمن خمس مخطوطات من التراث التربوي الإسلامي د.هشام تشابة- دار العلم للملايين –بيروت- لبنان –الطبعة الأولي- ١٩٨٨م.
* منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية د. جلال محمد عبد الحميد موسي- دار الكتاب اللبناني –بيروت-١٩٨٢م.

* منية المريد في آداب المفيد والمستفيد –العاملي– مخطور منشور في كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي د.عبد الأمير –دار الكتاب اللبنان –د. ت.ط
* موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي –إعداد خديجة النبراوي– دار السلام– الطبعة الأولي–حـ٤–١٤٢٤هـ– ٢٠٠٤م.
* ميزان العمل– الأمام الغزالي –تحقيق د/سليمان دنيا– دار المعارف– القاهرة– الطبعة الأولي ١٩٦٤م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء: ٢٤

صدق الله العظيم

إلي روح من ربياني صغيراً داعياً الله سبحانه وتعالي

أن يتغمدهما بواسع رحمته ويسكنهما فسيح جناته

جزاء عملهما الصالح أنة نعم المولي ونعم المجيب

المؤلف في سطور

الأستاذ الدكتور/ فيصل صلاح الرشيدي

الجنسية :- (مصري) الديانة (مسلم)

المؤهلات العلمية :-(ليسانس آداب فلسفة جامعة الزقازيق)

- ماجستير تخصص فلسفة بعنوان "النزعة العلمية في فلسفة ابن رشد"

ـــ بتقدير ممتاز.

- دكتوراه في الآداب تخصص فلسفة العلوم والأخلاق .

ـــ بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولي .

الخبرات التدريسية : (العمل بالتعليم)

(التدريس بكلية التربية النوعية سنوات عديدة بجامعة الزقازيق)

(التدريس بالمركز الثقافي الإسلامي بمصر التابع لوزارة الأوقاف)

(التدريس بكلية الآداب والعلوم بزليتن بقسم الفلسفة من عام ٢٠٠٢ – ٢٠٠٣ ف حتى الآن)

(التدريس بقسم الفلسفة لطلبة الدراسات العليا) .

(مناقشة ثلاث رسائل ماجستير بقسم الفلسفة) .

(الإشراف علي رسائل ماجستير ومشاريع التخرج).

(منسق الدراسات العليا بقسم الفلسفة في عام ٢٠٠٢ -٢٠٠٣ ف) .

(عضو اللجنة العلمية لإعداد الدليل العلمي لكلية الآداب والعلوم بزليتن في عام ٢٠٠٣-٢٠٠٤ ف)

(عضو في جمعية إحياء التراث الإسلامي بمصر من عام ١٩٨٨ حتى الآن) .

(عضو لجنة الترقية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة)

البحوث : (التفكير الفلسفي في الإسلام بحث ألقي في الموسم الثقافي بكلية الآداب بزليتن

المؤلفات : (مفهوم فلسفة التاريخ عند ابن خلدون)

(أدلة وجود الله عند الإمام الغزالي)

(الجانب الأخلاقي عند الغزالي)

(مفهوم العلاقة الجدلية بين الأخلاق والسياسة عند الفارابي)

(مفهوم نظرية الفعل الإنساني في فلسفة الفارابي)

(أسس الفكر الاقتصادية ومناهجه)

(النسق التربوي عند ابن سحنون والقابسي بين الأصالة والمعاصرة)

شهادات التقدير : (المعلم المثالي علي مستوي محافظة الشرقية بمصر في عيد العلم)

(شهادة تقدير من كلية العلوم والآداب بزليتن)

الدرجة العلمية : (أستاذ مساعد)

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / ليبيا
جـامعـة المـرقـب
الإدارة الـعـامـة .. الخـمـس

Ministry Of Higher Education
And Scientific Research/Libya
AL-MARGEB UNIVERSITY

التاريخ: 2013/6/16
الرقم الإشاري: .....جلال.....

شهادة خبرة

بعد التحية ،،،

تفيد كلية الآداب والعلوم زليتن ،.جامعة المرقب ، بأن السيد / **د. فيصل صلاح الرشيدي** ، مصري الجنسية ، وهو أحد أعضاء هيئة تدريس بقسم الفلسفة بهذه الكلية اعتباراً من العالم الجامعي : 2002-2003م ، وحتى هذا التاريخ وقام خلال هذه المدة بتدريس طلبة مرحلتي الدراسات الجامعية ، والدراسات العليا.

مرحلة الدراسات الجامعية والمواد هي كالتالي :-

المقررات	السنة
فلسفة يونانية + مدخل إلى الفلسفة + فلسفة أخلاق + أديان وضعية +أساسيات البحث العلمي + نشأة التفكير الفلسفي الإسلامي + مصطلحات فلسفية	الأولى
فلسفة اقتصاد + فلسفة أخلاق + فلسفة قرآن + مقارنة أديان + فلسفة يونانية + فلسفة تاريخ + فلسفة علوم + فلسفة إسلامية في العصر الوسيط + فلسفة أوربية في العصر الوسيط	الثانية
مشكلات فلسفية + فلسفة حديثة + منهج بحث عربي إسلامي + منهج بحث فلسفي + علم الكلام + مصطلحات فلسفية إنجليزية + فلسفة تاريخ	الثالثة
فلسفة لغة + تصوف إسلامي + فكر عربي معاصر + نظرية المعرفة + منهج بحث إسلامي + فلسفة حضارة تاريخ + نصوص و إنجليزية + الإشراف على مشاريع التخرج بالقسم	الرابعة

مرحلة الدراسات العليا والمواد هي كالتالي :-

1.	فلسفة أخلاق وسياسة	.2	علم الكلام
3.	فلسفة قديمة ونصوص	.4	فلسفة حديثة
5.	منطق وفلسفة علوم	.6	فلسفة قديمة

واهم أعمال بالقسم :
- قام بمناقشة ثلاث ماجستير بقسم الفلسفة .
- منسق الدراسات العليا بالقسم
- عضو لجنة الدليل العلمي بالكلية
- منسق الدراسة والامتحانات بالقسم

وكان خلال عمله بهذه الكلية حسن السيرة والسلوك وأدى عمله بكل أمانة وإخلاص متمنين له مزيداً من التوفيق .

أعطيت له هذه الإفادة بناء على طلبه لاستعمالها فيما يسمح به القانون

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ. حمزة أحمد عاشور	د. معتوق علي عون	أ. د عياد مفتاح شاحوت
رئيس قسم الفلسفة	عميد الكلية	مدير الإدارة العامة
	أ.د العابد الهمالي سعود	لشؤون أعضاء هيئة التدريس بالجامعة
	وكيل الشؤون العلمية بالجامعة	

16/06/2013

☎ 053 2629045 .. 053 2621180 .. 053 2621591 .. 053 2621592 .. 053 2629365 .. 053 2629371
053 2621592 .. 053 2629366 40414 الخمس .. ليبيا info@elmergib.edu.ly www.elmergib.edu.ly

State of Libya
Ministry of Higher Education & Scientific Research
AL Asmarya Islamic University
Zliten - General Department
General Depertment of Teaching Staff

دولـــة ليبيـــا
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة الأسمرية الإسلامية
الإدارة العامة ـ زليتن
الإدارة العامة لشؤون أعضاء هيئة التدريس

الرقم الإشاري : إ.أ.ع.ت.948

التاريخ : 2015 / 8 / 6

Ref No :G.D.T.S 948

Date : 6 \ 8 \ 2015 A . D

إفـــــــادة

تـــفيد الإدارة العامـــة لشـــؤون أعضـــاء هيئـــة التـــدريس بالجامعـــة الأســـمرية الإســـلامية بـــأن الـــدكتور فيصـــل صـــلاح محمـــود الرشـــيدي ، مصـــري الجنســـية قـــد عمـــل عضـــو هيئـــة تـــدريس بكليـــة الآداب ـ بقســـم الفلســـفة بدرجـــة أســـتاذ مســـاعد تخصـــص "فلســـفة علـــوم" مـــن العـــام الجـــامعي 2013م -2014م إلـــى العـــام الجـــامعي2014-2015م ، وقـــد قـــام بتـــدريس المـــواد الآتية الفصل الرابع والخامس والسادس :

المنطق الاستقرائي– المنطق الرياضي– أخلاقيات المهنة– فلسفة العلوم– مصطلحات ونصوصE (1)
فكر عربي معاصر– فلسفة اللغة – فلسفة أوربية وسيطة– مصطلحات ونصوصE(2).

كما قام بالأعمال التالية :

- الإشراف علي بحوث التخرج .
- عضو في لجنة إعداد الدليل العلمي بالقسم.
- تقييم مجموعة من البحوث المقدمة للترقية في مجلة الكلية.

أُعطيت له هذه الإفادة لاستعمالها فيما يخوله القانون

أ. محمد رجب القدار

مدير الإدارة العامة لأعضاء هيئة التدريس

وزارة الخارجية والتعاون الدولي
الشؤون القنصلية - مكتب مصراته
تصديق رقم: 8189 تاريخ: 08.09.
على امضاء
الرسوم المستحقة:
دون تحمل مسؤولية عما ورد بهذا المستند

Tel : 00218 521 462 13 81 Fax : 00218 521 462 13 81 Email : gata@asmarya.edu.ly

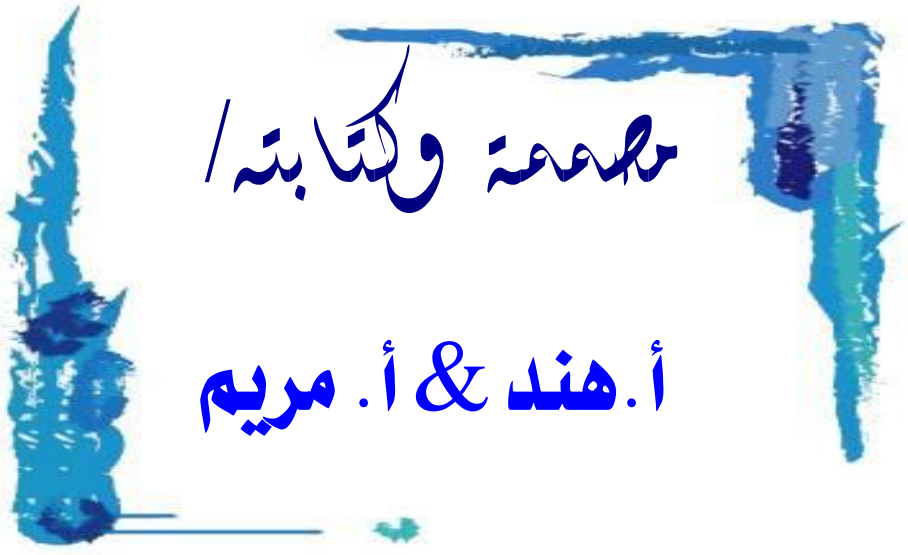
مصممة والكتابة/
أ.هند & أ. مريم